

سازمان کتابخانه ها ، موزه ها و مرکز اسناد آستان قدس رضوی

۲/۰

اداره مخطوطات

نام کتاب توحید مفضّل

مولف مروی عنه: امام جعفر صادق (ع) محشی

شارح راوی: مفضل بن عمر مترجم

تاریخ تحریر ۱۲۶۱ ق نوع خط نسخ تعداد سطر ۱۶

نام کاتب

موضوع عقائد زبان عربی عدد اوراق ۸۰

طول ۱۷/۵ عرض ۱۰ شماره عمومی ۳۲۲۰۶

وقفی / اهدایی مقام معظم رهبری تاریخ وقف بهمن ۸۳

ملاحظات

۸۱

توحيد مفضل

كتاب مفضل

بسم الله الرحمن الرحيم

روى محمد بن سنان قال حدثني المفضل بن عمر قال كنت ذات يوم بعد العصر جالسا في الروضة بين القبر والمنبر وانا مفكر فيما خص الله به سيدنا محمدا صلى الله عليه وآله من الشرف والفضائل وما منحه واعطاه وشرفه به وحباه مما لا يعرفه الجمهور من الأمة وما جهلوه من فضله وعظيم منزلته وخطر مرتبته فاني لكذلك اذ اقبل ابن ابي العوجا فجلس بحيث اسمع كلامه فلما استقر به المجلس اذا رجل من اصحابه قد جاء فجلس اليه فتكلم ابن ابي العوجا فقال لقد بلغ صاحب هذا القبر العز بكماله وحاز الشرف بجميع خصاله ونال الحظوة في كل احواله فقال له صاحبه انه كان فيلسوفا ادعى المرتبة العظمى والمنزلة الكبرى واتى على ذلك بمعجزات

بهرت

بهرت العقول وضلت فيها الأحلام وغاصت الالباب على طلب علمها في بحار الفكر فرجعت خاسئات وهي حسير فلما استجاب لدعوته العقلاء والفصحاء والخطباء دخل الناس في دينه افواجا فقرن اسمه باسم ناموسه فصار يهتف به على رؤس الصوامع في جميع البلدان والمواضع التي انتهت اليها دعوته وعلت بها كلمته وظهرت فيها حجته برا وبحرا وسهلا وجبلا في كل يوم وليلة خمس مرات مرددا في الاذان والاقامة ليتجدد في كل ساعة ذكره لئلا يخمل امره فقال ابن ابي العوجا دع ذكر محمد ع فقد تحير فيه عقلي وضل في امره فكري وحدثنا في ذكر الاصل الذي نمشي به ثم ذكر ابتداء الاشياء وذكر ان ذلك باهمال لا صنعة فيه ولا تقدير ولا صانع له ولا مدبر بل الاشياء يتكون من ذاتها بلا مدبر وعلى هذا كانت الدنيا لم تزل ولا تزال قال المفضل فلم املك نفسي غضبا وغيظا

رحنقاً فقلت يا عدو الله الحدت فى دين الله وانكرت
البارى جل تقدسه الذى خلقك فى احسن تقويم
وصورك فى اتم صورة ونقلك فى احوالك حتى بلغ
بك الى حيث انتهيت فلو تفكرت فى نفسك و
صدقك لطيف حسنك لوجدت دلايل الربوبية
وآثار الصنعة فيك قائمة وشواهده جل وتقدس
فى خلقك واضحة وبراهينه لك لايحة فقال يا هذا
ان كنت من اهل الكلام كلمناك فان ثبتت لك الحجة
تبعناك وان لم تكن منهم فلا كلام لك وان كنت من
اصحاب جعفر بن محمد الصادق فما هكذا يخاطبنا ولا
بمثل دليلك يجادل فينا ولقد سمع من كلامنا
اكثر مما سمعت فما افحش فى خطابنا ولا تعدى
فى جوابنا وانه للحليم الرزين العاقل الرصين لا يعتريه
خرق ولا طيش ولا نزق يسمع كلامنا ويصغى الينا
ويستعرف حجتنا حتى اذا استفرغنا ما عندنا وظننا
انا قد قطعنا ادحض حجتنا بكلام يسير وخطاب قصير

يلزمنا

يلزمنا به الحجة ويقطع العذر ولا نستطيع لجوابه
ردّاً فان كنت من اصحابه فخاطبنا بمثل خطابه
قال المفضل فخرجت من المسجد محزوناً مفكراً فيما
بلى به الاسلام واهله من كفر هذه العصابة و
تعطيلها فدخلت على مولاى عليه السلام فرآنى
منكسراً فقال ما لك فاخبرته بما سمعت من
الدهريين وبما رددت عليهما فقال يا مفضل
لالقين اليك من حكمة البارى جل وعلا و
تقدس اسمه فى خلق العالم والسباع وا
لبهايم والطير والهوام وكل ذى روح من الا
نعام والنبات والشجرة المثمرة وغير ذات
الثمر والحبوب والبقول والماكول من ذلك
وغير الماكول مما يعتبر به المعتبرون ويسكن
الى معرفته المومنون ويتحير فيه الملحدون
فبكّر علىّ غداً قال المفضل فانصرفت من عنده
فرحاً مسروراً طالت علىّ تلك الليلة انتظاراً

لما وعدني به فلما اصبحت غدوت اليه فاستوذن
لي فدخلت وقمت بين يديه فامرني بالجلوس فجلست
ثم نهض الى حجرة كان يخلو فيها فنهضت بنهوضه
فقال ع اتبعني فتبعته فدخل ودخلت خلفه
وجلست بين يديه فقال ع يا مفضل كاني بك
وقد طالت عليك هذه الليلة انتظارا لما وعدتك
فقلت اجل يا مولاي فقال ع يا مفضل ان الله
كان ولا شيء قبله وهو باق ولا نهاية له فله
الحمد على ما الهمنا والشكر على ما منحنا فقد خصنا
من العلوم باعلاها ومن المعالي باسناها
واصطفانا على جميع الخلق بعلمه وجعلنا
مهيمنين عليهم بحكمته فقلت يا مولاي
اتاذن لي ان اكتب ما تشرحه وكنت اعددت
معي ما اكتب فيه فقال ع لي افعل يا مفضل ان
الشكاك جهلوا الاسباب والمعاني في الخلقة
وقصرت افهامهم عن تامل الصواب والحكمة

فيما ذرأ

فيما ذرأ الباري جل قدسه وبرأ من صنوف
في البر والبحر والسهل والوعر فخرجوا بقصر علومهم
الى الجحود وبضعف بصائرهم الى التكذيب
والعنود حتى انكروا خلق الاشياء وادعوا ان
كونها بالاهمال لا صنعة فيها ولا تقدير ولا حكمة
من مدبر ولا صانع تعالى الله عما يصفون
وقاتلهم الله انى يؤفكون فهم في ضلالهم
وعميهم وتحيرهم بمنزلة عميان دخلوا دارا
قد بنيت اتقن بناء واحسنه وفرشت
باحسن الفرش والخزة واعد فيها ضروب
الاطعمة والاشربة والملابس والمآرب التي
يحتاج اليها لا يستغنى عنها ووضع كل شيء
من ذلك موضعه على صواب من التقدير و
حكمة من التدبير فجعلوا يترددون فيها
يمينا وشمالا ويطوفون بيوتها ادبارا واقبالا
محجوبة ابصارهم عنها لا يبصرون هيئة

الدار وما اعد فيها ورتما عبث بعضهم بالشئ
الذى قد وضع موضعه واعد للحاجة اليه وهو جاهل
بالمعنى فيه ولما اعد ولماذا جعل كذلك فيتذمر
ويتسخط ويذم الدار وبانيها فهذه حال هذا
الصنف فى انكارهم ما انكروا من امر الخلقة
وثبات الصنعة فانهم لما عزبت اذهانهم عن
معرفة الاسباب والعلل فى الاشيا صاروا
يجولون فى هذا العالم حيارى ولا يفهمون
ما هو عليه من اتقان خلقته وحسن صنعته
وصواب هيئته وربما وقف بعضهم على الشئ
لجهل سببه والارب فيه فيسرع الى ذمه ووصفه
بالاحالة والخطاء كالذى اقدمت عليه المانية
الكفرة وجاهرت به الملحدة المارقة الفجرة
واشباههم من اهل الضلال المعللين ا
نفسهم بالمحال فيحق على من انعم الله عليه بمعرفته
وهداه لدينه ووفقه لتامل التدبير فى صنعة

الخلايق

عيبت

الخلايق والوقوف على ما خلقوا له من لطيف التدبير
وصواب التعبير بالدلالة القائمة الدالة على صانعها
ان يكثر حمد الله مولاه على ذلك ويرغب اليه فى ا
لثبات عليه والزيادة منه فانه جل اسمه يقول
لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابى لشديد
فكر يا مفضل اول العبر والادلة على البارى جل قدسه
تهيئة هذا العالم وتاليف اجزائه ونظمها على ما هى
عليه فانك اذا تاملت العالم بفكرك وميزته بعقلك
وجدته كالبيت المبنى المعد فيه جميع ما يحتاج
اليه عباده فالسماء مرفوعة كالسقف والارض
ممدودة كالبساط والنجوم منضودة كالمصابيح
والجواهر مخزونة كالذخاير وكل شئ فيها لشانه
معد والانسان كالمملك ذلك البيت والمخول
جميع ما فيه وضروب النبات مهيات لماربه
وصنوف الحيوان مصروفة فى مصالحه ومنافعه
ففى هذا دلالة واضحة على ان العالم مخلوق بتقدير

نضدبر سرهم الالون
ابى ابب ... ملكة ... ابى ابب
خول ... الشئ ... فلان ... تخول
الى ... اللكة ... عليهم ...
مع الهلمة ... عليهم ...

وحكمة ونظام وملايمة وان الخالق له واحد وهو الذى
الفه ونظمه بعضا الى بعض جل قدسه وتعالى جده وكرم
وجهه ولا اله غيره تعالى عما يقول الجاحدون وجل وعظم
عما ينتحله الملحدون نبتدئ يا مفضل بذكر خلق الانسان
فاعتبر به فاول ذلك ما يدبر به الجنين فى الرحم وهو
محجوب فى ظلمات ثلث ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة
المشيمة حيث لا حيلة عنده فى طلب غذاء ولا دفع اذا
ولا استجلاب منفعة ولا دفع مضرة فانه يجرى اليه من
دم الحيض ما يغذوه كما يغذو الماء النبات فلا يزال
ذلك غذاه حتى اذا كمل خلقه واستحكم بدنه وقوى
اديمه على مباشرة الهوا وبصره على ملاقات الضيا
هاج الطلق بامه فازعجه اشد ازعاج واعنفه
حتى يولد فاذا ولد صرف ذلك الدم الذى كان يغذوه
من دم امه الى ثدييها فانقلب الطعم واللون الى ضرب
اخر من الغذاء وهو اشد موافقة للمولود من
الدم فيوافيه فى وقت حاجته اليه فحين يولد قد تلمظ

وحرك شفتيه طلبا للرضاع فهو يجد ثدى امه كا
الاداوتين المعلقتين لحاجته فلا يزال يتغذى
باللبن ما دام رطب البدن رقيق الامعا لين
الاعضاء حتى اذا تحرك واحتاج الى غذاء فيه
صلابة ليشتد ويقوى بدنه طلعت له الطواحن
من الاسنان والاضراس ليمضغ به الطعام فيلين
عليه ويسهل له اساغته فلا يزال كذلك حتى يدرك
فاذا ادرك وكان ذكرا طلع الشعر فى وجهه فكان
ذلك علامة الذكر وعز الرجل الذى يخرج به من
حد الصبى وشبه النساء وان كانت انثى يبقى
وجهها نقيا من الشعر لتبقى لها البهجة والنضارة
التى تحرك الرجال لما فيه دوام النسل وبقاوه اعتبر
يا مفضل فيما يدبر به الانسان فى هذه الاحوال
المختلفة هل ترى يمكن ان يكون بالاهمال افرايت
لو لم يجر اليه ذلك الدم وهو فى الرحم الم يكن
سيذوى ويجف كما يجف النبات اذا فقد الماء

ولو لم يخرج المخاض عند استحكامه لم يكن سيبقى
في الرحم كالموءود في الأرض ولو لم يوافقه اللبن مع
ولادته لم يكن سيموت جوعاً أو يغتذي بغذاء لا
يلائمه ولا يصلح عليه بدنه ولو لم تطلع عليه الأسنان
في وقتها لم يكن سيمتنع عليه مضغ الطعام وازدراده
أو يقيمه على الرضاع فلا يشتد بدنه ولا يصلح لعمل
ثم كان تشتغل أمه بنفسه عن تربية غيره من
الأولاد ولو لم يخرج الشعر في وجهه في وقته لم
يكن سيبقى في هيئة الصبيان والنساء فلا ترى
له جلالة ولا وقاراً قال المفضل فقلت يا مولاي
فقد رأيت من يبقى على حالته ولا ينبت الشعر
في وجهه وإن بلغ حال الكبر فقال ع ذلك بما
قدمت أيديهم وأن الله ليس بظلام للعبيد
فمن هذا الذي يرصده حتى يوافيه بكل شيء من
هذه المآرب إلا الذي أنشأه خلقاً بعد أن
لم يكن ثم توكل له بمصلحته بعد أن كان فإن كان

الإهمال

الإهمال يأتي بمثل هذا التدبير فقد يجب أن يكون العمد و
التقدير يأتيان بالخطأ والمحال لأنهما ضد الإهمال
وهذا فظيع من القول وجهل من قائله لأن الإهمال
لا يأتي بالصواب والتضاد لا يأتي بالنظام تعالى الله
عما يقول الملحدون علواً كبيراً ولو كان المولود
يولد فهماً عاقلاً لأنكر العالم عند ولادته ولبقي
حيران تائه العقل إذا رأى ما لم يعرف وورد عليه
ما لم ير مثله من اختلاف صور العالم والطير
من البهائم إلى غير ذلك مما يشاهده ساعة بعد ساعة
ويوماً بعد يوم واعتبر ذلك بأن من سبي من بلد
إلى بلد وهو عاقل يكون كالواله الحيران فلا يسرع
في تعلم الكلام وقبول الأدب كما يسرع الذي يسبى صغيراً
غير عاقل ثم لو ولد عاقلاً كان يجد غضاضة إذا رأى
نفسه محمولاً مرضعاً معصباً بالخرق مسجى في المهد (وذلة ومنقصة)
لأنه لا يستغني عن هذا كله لرقة بدنه ورطوبته (أو مهيناً)
حين يولد ثم كان لا يوجد له من الحلاوة والوقع

من القلوب ما يوجد للطفل فصار يخرج الى الدنيا
غبيا غافلا عما فيه اهله فيلقى الاشياء بذهن ضعيف
ومعرفة ناقصة ثم لا يزال يتزايد فى المعرفة قليلا قليلا
وشيئا بعد شئ وحالا بعد حال حتى يالف الاشياء ويتمرن
ويستمر عليها فيخرج من حد التامل لها والحيرة فيها
الى التصرف والاضطراب الى المعاش بعقله وحيلته
والى الاعتبار والطاعة والسهو والغفلة والمعصية
وفى هذا ايضا وجوه اخر فانه لو كان يولد تام العقل
مستقلا بنفسه لذهب موضع حلاوة تربية الاولاد
وما قدر ان يكون للوالدين فى الاشتغال بالولد من المصلحة وما يوجب التربية للآباء على الابناء
من المكافات بالبر والعطف عليهم عند حاجتهم
الى ذلك منهم مثل ثم كان الاولاد لا يالفون اباءهم
ولا يالف الاباء ابناءهم لان الاولاد كانوا
يستغنون عن تربية الاباء وحياطتهم
فيتفرقون عنهم حين يولدون فلا يعرف

الرجل

الرجل اباه وامه ولا يمتنع من نكاح امه واخته
وذوات المحارم منه اذ كان لا يعرفهن واقل
ما فى ذلك من القباحة بل هو اشنع واعظم
وافظع واقبح واشنع لو خرج المولود من بطن
امه وهو يعقل ان يرى منها ما لا يحل له ولا
يحسن به ان يراه افلا ترى كيف اقيم كل شئ
من الخلقة على غاية الصواب وخلا من الخطأ
دقيقه وجليله اعرف يا مفضل ما للاطفال
فى البكاء من المنفعة واعلم ان فى ادمغة الاطفال
رطوبة ان بقيت فيها احدثت عليهم احداثا
جليلة وعللا عظيمة من ذهاب البصر وغيره
فالبكاء تسيل تلك الرطوبة من رؤوسهم
فيعقبهم ذلك الصحة فى ابدانهم والسلامة
فى ابصارهم افليس قد جاز ان يكون الطفل
ينتفع بالبكاء ووالداه لا يعرفان ذلك فهما
دائبان ليسكتانه ويتوخيان فى الامور

[illegible]

[illegible]

مرضاته لئلا يبكي وهما لا يعلمان ان البكاء اصلح له
واجمل عاقبة فهكذا يجوز ان يكون في كثير من الاشياء
منافع لا يعرفها القائلون بالاهمال ولو عرفوا
ذلك لم يقضوا على الشيء انه لا منفعة فيه من اجل
انهم لا يعرفونه ولا يعلمون السبب فيه فان كل
ما لا يعرفه المنكرون يعلمه العارفون وكثيراً
ما يقصر عنه علم المخلوقين محيط به علم الخالق
جل قدسه وعلت كلمته فاما ما يسيل من افواه
الاطفال من الريق ففي ذلك خروج الرطوبة التي
لو بقيت في ابدانهم لاحدثت عليهم الامور العظيمة
كمن تراه قد غلبت عليه الرطوبة فاخرجته الى حد
البله والجنون والتخليط الى غير ذلك من الامراض
المتلفة كالفالج واللقوة وما اشبههما فجعل الله
تلك الرطوبة تسيل من افواههم في صغرهم لما
لهم في ذلك من الصحة في كبرهم فتفضل على
خلقه بما جهلوه ونظر لهم بما لم يعرفوه ولو عرفوا

ما انعم

ولو عرفوا ما انعم عليهم لشغلهم ذلك عن التمادي في
معصيته فسبحانه ما اجل نعمته واسبغها على المستحقين
وغيرهم من خلقه وتعالى عما يقول المبطلون علواً كبيراً
انظر الآن فكر يا مفضل كيف جعلت آلات الجماع
في الذكر والانثى جميعاً على ما يشاكل ذلك فجعل
للذكر آلة ناشزة تمتد حتى تصل النطفة الى الرحم
اذ كان محتاجاً الى ان يقذف ماءه في غيره وخلق
للانثى وعاء قعراً ليشتمل على الماءين جميعاً ويحتمل
الولد جميعاً ويتسع له ويصونه حتى يستحكم اليس ذلك
من تدبير حكيم لطيف سبحانه وتعالى عما يشركون
فكر يا مفضل في اعضاء البدن اجمع وتدبير كل
عضو منها للارب فاليدان للعلاج والرجلان
للسعي والعينان للاهتداء والفم للاغتذاء
والمعدة للهضم والكبد للتخليص والمنافذ لتنفيذ
الفضول والاوعية لحملها والفرج لاقامة
النسل وكذلك جميع الاعضاء اذا تاملتها واعملت
فكرك فيها ونظرك وجدت كل شيء منها قد قدر

لشئ على صواب وحكمة قال فقلت يا مولاى ان
قوما يزعمون ان هذا من فعل الطبيعة فقال سلهم عن
هذه الطبيعة اهى شئ له علم وقدرة على مثل هذه الافعال
ام ليست كذلك فان اوجبوا لها العلم والقدرة
فما يمنعهم من اثبات الخالق فان هذه صفته وان
زعموا انها تفعل هذه الافعال بغير علم ولا عمد وكان
فى افعالها ما قد تراه من الصواب والحكمة علم ان
هذا الفعل للخالق الحكيم وان الذى سموه طبيعة هو
سنته فى خلقه الجارية على ما اجراها عليه فكر
يا مفضل فى وصول الغذاء الى البدن وما فيه من
التدبير فان الطعام يصير الى المعدة فتطبخه وتبعث
بصفوه الى الكبد فى عروق دقاق واشجة بينهما قد
جعلت كالمصفى للغذاء لكيلا يصل الى الكبد منه شئ
فينكاها وذلك ان الكبد رقيقة لا تحتمل العنف
ثم ان الكبد يقبله فيستحيل بلطف التدبير دما و
ينفذ ما يخرج منه من الخبث والفضول الى
مفايض قد اعدت لذلك فما كان منه من جنس

المرة الصفراء جرى الى المرارة وما كان من السوداء جرى
الى الطحال وما كان من البلة والرطوبة جرى الى المثانة
فتامل حكمة التدبير فى تركيب البدن ووضع هذه
الاعضاء منه مواضعها واعداد هذه الاوعية فيه
لتحمل تلك الفضول لئلا تنتشر فى البدن فتسقمه
وتنهكه فتبارك من احسن التقدير واحكم التدبير
وله الحمد كما هو اهله ومستحقه يا مفضل صف
نشو الابدان ونموها حالا بعد حال حتى تبلغ التمام
والكمال فقال عم اول ذلك تصوير الجنين فى الرحم
حيث لا تراه عين ولا تناله يد ويدبره حتى يخرج
سويا مستوفيا جميع ما فيه قوامه وصلاحه
من الاحشاء والجوارح والعوامل الى ما فى تركيب
اعضائه من العظام واللحم والشحم والمخ والعصب
والعروق والغضاريف فاذا خرج الى العالم
تراه كيف ينمى بجميع اعضائه وهو ثابت على شكله
وهيئته لا تتزايد ولا تنقص الى ان يبلغ اشده
ان مد فى عمره او يستوفى مدته قبل ذلك هذا

الا من لطيف التدبير والحكمة يا مفضل انظر الى ما خص
به الانسان في خلقه تشريفا وتفضيلا على البهائم
فانه خلق ينتصب قائما ويستوي جالسا
ليستقبل الاشياء بيديه وجوارحه ويمكنه
العلاج والعمل بها فلو كان مكبوبا على وجهه
كذات الاربع لما استطاع ان يعمل شيئا من
الاعمال انظر الان يا مفضل الى هذه الحواس التي
خص بها الانسان في خلقه وشرف بها على غيره
كيف جعلت العينان في الراس كالمصابيح فوق
المنارة ليتمكن من مطالعة الاشياء ولم تجعل
في الاعضاء التي تحتهن كاليدين والرجلين
فتعرضها الآفات وتصيبها من مباشرة العمل
والحركة ما يعللها ويؤثر فيها وينقص منها ولا
في الاعضاء التي وسط البدن كالبطن والظهر
فيعسر تقلبها واطلاعها نحو الاشياء فلما لم يكن
لها في شيء من هذه الاعضاء موضع كان الراس
اسنى المواضع للحواس وهو بمنزلة الصومعة

لها فجعل الحواس خمسا تلقى خمسا لكيلا يفوتها شيء
من المحسوسات فخلق البصر ليدرك الالوان فلو كانت
الالوان ولم يكن بصر يدركها لم يكن فيها منفعة وخلق
السمع ليدرك الاصوات فلو كانت الاصوات ولم يكن
سمع يدركها لم يكن فيها ارب وكذلك سائر الحواس
ثم هذا يرجع متكافيا فلو كان بصر ولم يكن الالوان
لما كان للبصر معنى ولو كان سمع ولم يكن اصوات
لم يكن للسمع موضع فانظر كيف قدر بعضها يلقى
بعضا فجعل لكل حاسة محسوسا يعمل فيه ولكل
محسوس حاسة تدركه ومع هذا فقد جعلت اشياء
متوسطة بين الحواس والمحسوسات لا تتم الحواس الا
بها كمثل الضياء والهواء فانه لو لم يكن ضياء يظهر اللون
للبصر لم يكن البصر يدرك اللون ولو لم يكن هواء يؤدي
الصوت الى السمع لم يكن السمع يدرك الصوت فهل
يخفى على من صح نظره واعمل فكره ان مثل هذا الذي
وصفت من تهيئة الحواس والمحسوسات بعضها يلقى
بعضا وتهيئة اشياء اخر بها تتم الحواس لا يكون الا

الا بعمد وتقدير من لطيف خبير فكر يا مفضل فيمن
عدم البصر من الناس وما يناله من الخلل في اموره
فانه لا يعرف موضع قدمه ولا يبصر ما بين يديه
فلا يفرق بين الالوان وبين المنظر الحسن والقبيح
ولا يرى حفرة ان هجم عليها ولا عدوا ان اهوى
اليه بسيف ولا يكون له سبيل الى ان يعمل شيئا
من هذه الصناعات مثل الكتابة والتجارة و[الصياغة]
حتى انه لولا نفاذ ذهنه لكان بمنزلة الحجر الملقى
وكذلك من عدم السمع يختل في امور كثيرة فانه يفقد
روح المخاطبة والمحاورة ويعدم لذة الاصوات
واللحون الشجية المطربة ويعظم المؤنة على الناس
في محاورته حتى يتبرموا به ولا يسمع شيئا من
اخبار الناس واحاديثهم حتى يكون كالغائب
وهو شاهد وكالميت وهو حي فاما من عدم
العقل فانه يلحق بمنزلة البهائم بل يجهل كثيرا
مما يهتدي اليه البهائم افلا ترى كيف
صارت الجوارح والعقل وساير الخلال

التي

المؤنة التعب الشاق

ابرام (التسوار شدن)

الخلال جوزلم و درميان جام كذارند

الخلال (الخصلة)

٧١

التي بها صلاح الانسان والتي لو فقد منها شيئا
لعظم ما يناله في ذلك من الخلل يوفى في خلقه على التمام
حتى لا يفقد شيئا منها فلم كان كذلك الا انه
خلق بعلم وتقدير قال المفضل فقلت فلم صار بعض
الناس يفقد شيئا من هذه الجوارح فيناله
في ذلك مثل ما وصفته يا مولاي قال ع ذلك
للتاديب والموعظة لمن يحل ذلك به ولغيره بسببه
كما قد يؤدب الملوك الناس للتنكيل والموعظة
فلا ينكر ذلك عليهم بل يحمد من رائهم ويستصوب
من تدبيرهم ثم ان للذين تنزل بهم هذه البلايا
من الثواب بعد الموت ان شكروا وانابوا
ما يستصغرون معه ما ينالهم منها حتى انهم
لو خيروا بعد الموت لاختاروا ان يردوا الى
البلايا ليزدادوا من الثواب فكر يا مفضل
في الاعضاء التي خلقت افرادا او ازواجا
وما في ذلك من الحكمة والتقدير والصواب في

يجلد

التدبير فالرأس مما خلق فرداً ولم يكن للانسان
صلاح في ان يكون اكثر من واحد الا ترى انه لو
اضيف الى راس الانسان راس اخر لكان ثقيلاً
عليه من غير حاجة اليه لان الحواس التي يحتاج
اليها مجتمعة في راس واحد ثم كان الانسان ينقسم
قسمين لو كان له راسان فان تكلم من احدهما
كان الاخر معطلاً لا ارب فيه ولا حاجة اليه وان
تكلم منهما جميعاً بكلام واحد كان احدهما فضلاً
لا يحتاج اليه وان تكلم من احدهما بغير الذي تكلم
به من الاخر لم يدر السامع باي ذلك ياخذ وا
هذا من الاغلاط واليدان مما خلق ازواجاً ولم
يكن للانسان خير في ان يكون له يد واحدة لان
ذلك كان يخل به فيما يحتاج الى معالجته من الا
شياء الا ترى ان النجار والبناء لو شلت احدى
يديه لا يستطيع ان يعالج صناعته وان تكلف
ذلك لم يحكمه ولم يبلغ منه ما يبلغه اذا كانت

له يدان يتعاونان على العمل امل الفكر يا مفضل
في الصوت والكلام وتهيئة الاته في الانسا
ن فالحنجرة كالانبوبة لخروج الصوت واللسان
والشفتان والاسنان لصياغة الحروف و
النغم الا ترى ان من سقطت اسنانه لم يقم السين
ومن سقطت شفته لم يصحح الفاء ومن ثقل
لسانه لم يفصح الراء واشبه شيء بذلك المزمار
الاعظم فالحنجرة تشبه قصبة المزمار والرئة
تشبه الزق الذي ينفخ فيه لتدخل الريح والعضلات
التي تقبض على الرئة ليخرج الصوت كالاصابع التي
تقبض على الزق حتى تجري الريح في المزمار والشفتان
والاسنان التي تصوغ الصوت حروفاً ونغماً
كالاصابع التي تختلف في فم المزمار فتصوغ
صفيره الحاناً غير انه وان كان مخرج الصوت يشبه
المزمار بالدلالة والتعريف فان المزمار با
لحقيقة هو المشبه بمخرج الصوت قد انبأتك

اما فى الأعضاء من الغناء فى صنعة الكلام واقامة الحروف
وفيها مع الذى ذكرت لك مآرب اخرى فالحنجرة
ليسلك فيها هذا النسيم الى الرئة فتروح عن الفؤاد
بالنفس الدائم المتتابع الذى لو احتبس شيئا يسيرا لهلك
الانسان وباللسان تذاق الطعوم فيميز بينها ويعرف
كل واحد منها حلوها من مرها وحامضها من مزها
ومالحها من عذبها وطيبها من خبيثها وفيه مع ذلك
معونة على اساغة الطعام والشراب والاسنان
لمضغ الطعام حتى يلين ويسهل اساغته وهى مع
ذلك كالسند للشفتين وتمسكهما وتدعمهما من داخل
الفم واعتبر ذلك بانك ترى من سقطت اسنانه
مسترخى الشفة ومضطربها وبالشفتين يترشف
الشراب حتى يكون الذى يصل الى الجوف منه بقصد
وقدر لا يثج ثجا فيغص به الشارب او ينكأ فى الجوف
ثم هما بعد ذلك كالباب المطبق على الفم يفتحهما
الانسان اذا شاء ويطبقهما اذا شاء ففيما

وصفنا

وصفنا من هذا بيان ان كل واحد من هذه الاعضاء
يتصرف وينقسم الى وجوه من المنافع كما تتصرف
الأداة الواحدة فى اعمال شتى وذلك كالفاس يستعمل
فى النجارة والحفر وغيرهما من الأعمال ولو رايت الدماغ
اذا كشف عنه لرايته قد لف بحجب بعضها فوق
بعض لتصونه من الأعراض وتمسكه فلا يضطرب
ولرايت الجمجمة بمنزلة البيضة كيما تفته هد
الصدمة والصكة التى ربما وقعت فى الراس
ثم قد جللت الجمجمة بالشعر حتى صار بمنزلة الفرو للراس
ليستره من شدة الحر والبرد فمن حصن الدماغ
هذا التحصين الا الذى خلقه وجعله ينبوع الحس
والمستحق للحيطة والصيانة بعلو منزلته من البدن
وارتفاع درجته وخطر مرتبته تامل يا مفضل
الجفن على العين كيف جعل كالغشاء والأشفار كالأشراج
واولجها فى هذا الغار واظلها بالحجاب
وما عليه من الشعر يا مفضل من غيب الفؤاد فى
جوف الصدر وكساه المدرعة التى هى غشاؤه

وحصّنه بالجوانح وما عليها من اللحم والعصب لئلا
يصل اليه ما ينكأه من جعل في الحلق منفذين احدهما
لمخرج الصوت وهو الحلقوم المتصل بالرية والاخر
منفذا للغذاء وهو المري المتصل بالمعدة الموصل
الغذاء اليها وجعل على الحلقوم طبقا يمنع الطعام ان
يصل الى الرية فيقتل من جعل الرية مروحة الفؤاد لا تفتر
ولا تخل لكيلا تتحيز الحرارة في الفؤاد فيؤدي الى التلف
من جعل منافذ البول والغائط اشراجا تضبطهما
لئلا يجريا جريانا دائما فيفسد على الانسان عيشه فكم
عسى ان يحصي المحصي من هذا بل الذي لا يحصى منه ولا
يعلمه الناس اكثر من جعل المعدة عصبانية شديدة
وقدرها لهضم الطعام الغليظ ومن جعل الكبد رقيقة
ناعمة لقبول الصفو اللطيف من الغذا ولتهضم وتعمل
ما هو الطف من عمل المعدة الا الله القادر اترى
الاهمال ياتي بالشيء من ذلك كلا بل هو تدبير من مدبر
حكيم قادر عالم بالاشياء قبل خلقه اياها لا يعجزه
شيء وهو اللطيف الخبير فكر يا مفضل لم صار المخ

الرتيق

الرتيق محصنا في انابيب العظام هل ذلك الا لتحفظه
وتصونه لم صار الدم السائل محصورا في العروق
بمنزلة الماء في الظروف الا لتضبطه فلا يفيض لم صارت
الاظفار على اطراف الاصابع الا وقاية لها ومعونة
على العمل لم صار داخل الاذن ملتويا كهيئة اللولب
الا ليطرد فيه الصوت حتى ينتهي الى السمع وليتكسر
حميته الى الريح فلا ينكأ في السمع لم حمل الانسان على
فخذيه واليتيه هذا اللحم الا ليقيه من الارض فلا يتألم
من الجلوس عليها كما يألم من نحل جسمه وقل لحمه اذا
لم يكن بينه وبين الارض حائل يقيه صلابتها
من جعل الانسان ذكرا وانثى الا من خلقه متناسلا
الا من خلقه الا من خلقه مؤملا ومن اعطاه الالة
العمل الا من خلقه عاملا ومن خلقه عاملا الا
من جعله محتاجا ومن جعله محتاجا الا من ضربه
بالحاجة ومن ضربه بالحاجة الا من توكل بتقويمه
من خصه بالفهم الا من اوجب له الجزاء ومن
وهب له الحيلة الا من ملكه الحول الا من للذمة

لجة من يكفيه ما لا اشتغاله حيلته الا من يبلغ مدى شكره
فكر وتذكر ما وصفته هل تجد الاهمال يأتي بهذا النظام
والترتيب تبارك الله وتعالى عما يصفون اصف لك الان
يا مفضل الفؤاد اعلم ان فيه ثقبا موجهة نحو الثقب التي
في الريه تروّح عن الفؤاد حتى اختلفت تلك الثقب
تزايل بعضها عن بعض لما وصل الروح الى الفؤاد ولهلك
الانسان فيجوز ذو فكرة وروية ان يزعم ان مثل
هذا يكون بالاهمال ولا يجد شاهدا من نفسه يزعه
عن هذا القول لو رايت فردا من مصراعين فيه كلوب
اكنت تتوهم انه جعل كذلك بلا معنى بل كنت تعلم ضرورة
انه مصنوع يلقى فردا اخر فتبرزه ليكون في اجتماعهما
ضرب من المصلحة وهكذا تجد الذكر من الحيوان كانه
فرد من زوج مهيئ من فرد انثى فيلتقيان لما فيه
من دوام النسل وبقائه فتبا وخيبة وتعسا
النعس الهلاك والعثار والسقوط والتيه والانحطاط
لمنتحلي الفلسفة كيف عميت قلوبهم عن هذه الخلقة
العجيبة حتى انكروا التدبير والعمد فيها لو كان فرج

الرجل

٧٥

الرجل مسترخيا كيف كان يصل الى قعر الرحم حتى يفرغ
النطفة فيه ولو كان منعظا ابدا كيف كان الرجل
يتقلب في الفراش او يمشي بين الناس وشيء شاخص
امامه ثم يكون في ذلك مع قبح المنظر تحريك الشهوة
في كل وقت من الرجال والنساء جميعا فقدر الله
جل اسمه ان يكون اكثر ذلك لا يبدو للبصر في كل
وقت ولا يكون على الرجال منه مؤونة بل جعل منه
القوة على الانتصاب وقت الحاجة الى ذلك لما قدر
ان يكون فيه من دوام النسل وبقائه اعتبر الان
يا مفضل تعظم النعمة على الانسان في مطعمه ومشربه
وتسهيل خروج الاذى اليس من احسن التقدير في
بناء الدار ان يكون الخلاء في استر موضع منها
فكذا جعل الله سبحانه المنفذ المهيا للخلاء من الانسان
في استر موضع منه فلم يجعله بارزا من خلفه ولا
ناشزا من بين يديه بل هو مغيب في موضع غامض
من البدن مستور محجوب يلتقي عليه الفخذان
وتحجبه الاليتان بما عليهما من اللحم فيواريانه فاذا

احتاج الانسان الى الخلا وجلس تلك الجلسة التي
المنفذ منه منصبا مهيا لانحدار الثفل فتبارك
من تظاهرت آلائه ولا تحصى نعماؤه فكر يا مفضل
في هذه الطواحن التي جعلت للانسان فبعضها
حداد لقطع الطعام وقرضه وبعضها عراض لمضغه
ورضه فلم ينقص واحد من الصنفين اذ كان محتاجا
اليهما جميعا تامل واعتبر بحسن التدبير في خلق الشعر
والاظفار فانهما لما كانا مما يطول ويكثر حتى يحتاج
الى تخفيفه اولا فاولا جعلا عديمي الحس لئلا يولم
الانسان الاخذ منهما ولو كان قص الشعر وتقليم
الاظفار مما يوجد له مس من ذلك لكان الانسان من ذلك
بين مكروهين اما ان يدع كل واحد منهما حتى يطول
فيثقل عليه واما ان يخففه بوجع والم يتالم منه قال
المفضل فقلت فلم لم يجعل ذلك خلقة لا تزيد فيحتاج
الانسان الى النقصان منه فقال ع ان الله تبارك
اسمه في ذلك على العبد نعما لا يعرفها فيحمد عليها
اعلم ان آلام البدن وادواءه تخرج بخروج الشعر

في مسامه وبخروج الاظفار من اناملها ولذلك
امر الانسان بالنورة وحلق الراس وقص الاظفار
في كل اسبوع ليسرع الشعر والاظفار في النبات
فتخرج الآلام والادواء بخروجهما واذا طالا تحيرا
وقل خروجهما فاحتبست في البدن فاحدثت
عللا واوجاعا ومنع مع ذلك الشعر من المواضع
التي يضر بالانسان ويحدث عليه الفساد والضرر
لو نبت الشعر في العين الم يكن سيعمي البصر ولو نبت
في الفم الم يكن سيغص على الانسان طعامه وشرابه
ولو نبت في باطن الكف الم يكن سيعوقه عن صحة
اللمس وبعض الاعمال ولو نبت في فرج المراة وعلى
ذكر الرجل الم يكن سيفسد عليهما لذة الجماع فانظر
كيف تنكب الشعر هذه المواضع لما في ذلك من المصلحة
ثم ليس هذا في الانسان فقط بل تجده في البهائم
والسباع وسائر المتناسلات فانك ترى
اجسامهن مجللة بالشعر وترى هذه
المواضع خالية منه لهذا السبب بعينه

فتامل الخلقة كيف تنحو وجوه الخطاء والمضرة وتاتى
بوجوه بالصواب والمنفعة ان المانية واشباههم
حين اجتهدوا فى عيب الخلقة والعمد عابوا الشعر
النابت على الركب والابطين ولم يعلموا ان ذلك
من رطوبة تنصب الى هذه المواضع فينبت فيها
الشعر كما ينبت العشب فى مستنقع الميا افلا ترى
الى هذه المواضع استر واهيا لقبول تلك الفضلة
من غيرها ان هذه تعد مما يحمل الانسان من مونة
هذا البدن وتكاليفه لما له فى ذلك من المصلحة فان
اهتمامه بتنظيف بدنه واخذ ما يعلوه من الشعر
ما يكسر به شرته ويكف عاديته ويشغله عن بعض
ما يخرجه اليه من الفراغ من الاشر والبطالة تامل
الريق وما فيه من المنفعة فانه جعل يجرى جريانا
دايما الى الفم ليبل الحلق واللهوات فلا يجف
فان هذه المواضع لو جعلت كذلك كان فيه هلاك
الانسان ثم كان لا يستطيع ان يسيغ طعاما
اذا لم يكن فى الفم بلة تنفذه تشهد بذلك المشاهدة

واعلم

يشره ينشط حسه ونشاطه حرص

الاشر شدة المرح والمرح شدة الفرح كذا فى (ق)

اللهاة اللحمة المشرفة على الحلق او ما بين منقطع اصل اللسان الى منقطع القلب من اعلى الفم والجمع لهوات (ق)

٧٧

واعلم ان الرطوبة مطية الغذاء وقد تجرى من هذه
البلة الى موضع اخر من المرة فيكون فى ذلك صلاح
تام للانسان ولو يبست المرة لهلك الانسان
ولقد قال قوم من جهلة المتكلمين وضعفة المتفلسفين
بقلة التميز وقصور العلم لو كان بطن الانسان
كهيئة القباء يفتحه الطبيب اذا شاء فيعاينه ما فيه
ويدخل يده فيعالج ما اراد علاجه الم يكن اصلح
من ان يكون مصمتا محجوبا عن البصر واليد لا يعرف
ما فيه الا بدلالات غامضة كمثل النظر الى البول
وحس العروق وما اشبه ذلك مما يكثر
فيه الغلط والشبهة حتى ربما كان ذلك سببا
للموت فلو علم هولاء الجهلة ان هذا لو كان هكذا لكان
اول ما فيه انه كان يسقط عن الانسان الوجل
من الامراض والموت وكان يستشعر البقا ويغتر
بالسلامة فيخرجه ذلك الى العتو والاشر
ثم كانت الرطوبات التى فى البطن تترشح
وتتحلب فتفسد على الانسان مقعده ومرقده

الرقد

عتى استكبر وجاوز الحد

وثياب بدليته ورتبته بل كان يفسد عليه عيشه
ثم ان المعدة والكبد والفؤاد انما يفعل افعالها
بالحرارة الغريزية التي جعلها محبسة في الجوف
فلو كان في البطن فرج ينفتح حتى يصل البصر الى
رؤيته واليد الى علاجه لوصل برد الهواء الى
الجوف فمازج الحرارة الغريزية وبطل عمل الاحشاء
فكان في ذلك هلاك الانسان افلا ترى ان
هلاك الانسان افلا ترى ان كلما تذهب اليه الاوهام
سوى ما جاءت به الخلقة خطاء وخطل فكر فى
في الافعال التي جعلت في الانسان من الطعم والنوم
والجماع وما دبر فيها فانه جعل لكل واحد منها
في الطباع نفسه محركا يقتضيه ويستحث به فالجوع
يقتضي الطعم الذي به حياة البدن وقوامه
والكرى يقتضي النوم الذي فيه راحة البدن واجمام
قواه والشبق يقتضي الجماع الذي فيه دوام
النسل وبقاؤه ولو كان الانسان انما
يصير الى اكل الطعام لمعرفته بحاجة بدنه

اليه

بدنه اليه ولم يجد من طباعه شيئا يضطره الى ذلك
كان خليقا ان يتوانى عنه احيانا بالتثقل و
الكسل حتى ينحل بدنه فيهلك كما يحتاج الواحد
الى الدواء بشيء مما يصلح بدنه فيدافع به حتى
يؤديه ذلك الى المرض والموت وكذلك لو كان انما
يصير الى النوم بالتفكر في حاجته الى راحة
البدن واجمام قواه كان عسى ان يتثاقل عن ذلك
فيدفعه حتى ينهك بدنه ولو كان انما يتحرك
للجماع بالرغبة في الولد كان غير بعيد ان
يفتر عنه حتى يقل النسل او ينقطع فان من الناس
من لا يرغب في الولد ولا يحفل به فانظر كيف
جعل لكل واحد من هذه الافعال التي بها
قوام الانسان وصلاحه محركا من نفس الطبع
يحركه لذلك ويحدوه عليه واعلم ان في الانسان
قوى اربعا قوة جاذبة تقبل الغذاء وتورده
على المعدة وقوة ممسكة تحبس الطعام حتى
تفعل فيه الطبيعة فعلها وقوة هاضمة

وهي التي تطبخه وتستخرج صفوه وتبثه في البدن وقوة
دافعة تدفعه وتحدر الثقل الفاضل بعد اخذ الهاضمة
حاجتها ففكر في تقدير هذه القوى الاربعة التي في البدن
واعمالها وتقديرها للحاجة اليها والارب فيها وما
في ذلك من التدبير والحكمة فلولا الجاذبة كيف كان يتحرك
الانسان لطلب الغذاء التي بها قوام البدن ولولا
الماسكة كيف كان يلبث الطعام في الجوف حتى
تهضمه المعدة ولولا الهاضمة كيف كان ينطبخ
حتى يخلص منه الصفو الذي يغذو البدن ويسد
خلله ولولا الدافعة كيف كان الثقل الذي تخلفه
الهاضمة يندفع ويخرج اولاً فاولاً افلا
ترى كيف وكل الله سبحانه بلطيف صنعه وحسن
تقديره هذه القوى بالبدن والقيام بما فيه
صلاحه وسامثل لك في ذلك مثالاً ان البدن
بمنزلة دار الملك وله فيها حشم وصبية وقوام
موكلون بالدار فواحد لاقضاء حوائج الحشم
وايرادها عليهم وآخر لقبض ما يرد وخزنه

الى

م صلا قابله

اليه ولم يجد من طباعه شيئاً يضطره الى ذلك كان
خليقاً ان يتوانى عنه احياناً بالثقل والكسل حتى
ينحل بدنه فيهلك لا يحتاج الواحد الى الدواء
بشيء مما يصلح به بدنه فيدافع به حتى ينحل بدنه
فيهلك كما يحتاج الواحد الى الدواء بشيء مما يصلح
بدنه فيدافع به حتى يؤديه ذلك الى المرض والموت
وكذلك لو كان انما يصير الى النوم بالتفكر في حاجته
الى راحة البدن واجمام قواه كان عسى ان يتثاقل
عن ذلك فيدفعه حتى ينهك بدنه ولو كان انما
يتحرك للجماع بالرغبة في الولد وكان غير
بعيد ان يفتر عنه حتى يقل النسل او ينقطع
فان من الناس من لا يرغب في الولد ولا يحفل
به فانظر كيف كان جعل لكل واحد من هذه الافعال
التي بها قوام الانسان وصلاحه محركاً من نفس
الطبع يحركه لذلك ويحدوه عليه واعلم
ان في الانسان قوى اربعاً قوة جاذبة تقبل
الغذاء وتورده على المعدة وقوة ممسكة

بل ذايل
الافعال
غلط
الا بعضه

الى ان يعالج ويهيأ وآخر لعلاج ذلك وتصريفه
وتفريقه وآخر لتنظيف ما فى الدار من الاقذار واخراجه
منها فالملك فى هذا هو الخلاق الحكيم ملك العالمين
والدار هى البدن والحشم هى الاعضاء والقوام هى
هذه القوى الاربع ولعلك ترى ذكرنا هذه القوى
الاربع وافعالها بعد الذى وصفت فضلا وتزدادا
وليس ما ذكرته من هذه القوى على الجهة التى ذكرت
فى كتب الاطباء ولا قولنا فيه كقولهم لانهم ذكروها
على ما يحتاج اليه فى صناعة الطب وتصحيح الابدان
وذكرناها على ما يحتاج فى صلاح الدين وشفاء
النفوس من الغى كالذى اوضحته بالوصف الشافى
والمثل المضروب من التدبير والحكمة فيها تأمل
يا مفضل هذه القوى التى فى النفس وموقعها
من الانسان اعنى الفكر والوهم والعقل والحفظ
وغير ذلك افرأيت لو نقص الانسان من هذه
الخلال الحفظ وحده كيف كانت تكون وكم من خلل
كان يدخل عليه فى اموره ومعاشه وتجاربه اذا

لم يحفظ

عن الغي على ما بين

اذا لم يحفظ ما له وعليه وما اخذه وما اعطى وما رأى
وما سمع وما قال وما قيل له ولم يذكر من احسن اليه
وما اساء به وما نفعه وما ضره ثم كان لا يهتدى
الطريق لو سلكه ما لا يحصى ولا يحفظ علما ولو درسه
عمره ولا يعتقد دينا ولا ينتفع بتجربة ولا يستطيع ان
يعتبر شيئا على ما مضى بل كان حقيقا خليقا ان ينسلخ
من الانسانية اصلا فانظر الى النعمة على الانسان
فى هذه الخلال وكيف موقع الواحدة منها دون
الجمع واعظم من النعمة الانسان فى الحفظ النعمة
فى النسيان فانه لولا النسيان لما سلا احد عن
مصيبة ولا انقضت له حسرة ولا مات له حقد
ولا استمتع بشئ من متاع الدنيا مع تذكر الآفات
ولا رجا غفلة من سلطان ولا فترة من حاسد
افلا ترى كيف جعل فى الانسان الحفظ والنسيان
وهما مختلفان متضادان وجعل له فى كل
منهما ضرب من المصلحة وما عسى ان يقول
الذين قسموا الاشياء بين خالقين فى هذه
متضادين

سلا وعنيه نسخة

الأشياء المتضادة المتباينة وتدبّرها
تجتمع على ما فيه الصلاح والمنفعة انظر يا مفضّل
الى ما خصّ به الإنسان دون جميع الحيوان من
هذا الخلق الجليل قدره العظيم غناؤه اعني الحياء
فلولاه لم يقر ضيف ولم يوف بالعداة ولم تقض
الحوائج ولم يتحرّ الجميل ولم يتنكّب القبيح في شيء
من الأشياء حتى انّ كثيراً من الأمور المفترضة ايضاً
انما يفعل للحياء فانّ من الناس من لولا الحياء
لم يرع حقّ والديه ولم يصل ذا رحم ولم يؤدّ امانة
ولم يعف عن فاحشة افلا ترى كيف وفى الإنسان
جميع الخلال التي فيها صلاحه وتمام امره تأمّل
ما انعم الله تقدّست اسماؤه به على الإنسان من هذا
النطق الذي يعبّر به عمّا في ضميره وما يخطر بقلبه
ونتيجة فكره به يفهم عن غيره ما في نفسه ولولا ذلك
كان بمنزلة البهائم المهملة التي لا تخبر عن نفسها
بشيء ولا تفهم عن مخبر شيئاً وكذلك الكتابة التي
تقيّد اخبار الماضين للباقين واخبار الباقين

للآتين

نكبه ار زاله اللازم و يتعدى

للآتين وبها تخلد الكتب في العلوم والآداب وغيرها
وبها يحفظ الإنسان ذكر ما يجري بينه وبين
غيره من المعاملات والحساب ولولاه لانقطع
اخبار بعض الأزمنة عن بعض واخبار الغائبين
من اوطانهم ودرست العلوم وضلّت الآداب
وعظم ما يدخل على الناس من الخلل في امورهم
ومعاملاتهم وما يحتاجون الى النظر فيه من امر دينهم
وما روي لهم مما لا يسعهم جهله ولعلك تظنّ
انها مما يخلص اليه بالحيلة والفطنة وليست مما اعطيه
الإنسان من خلقه وطباعه وكذلك الكلام انّما هو
شيء يصطلح عليه الناس فيجري بينهم ولهذا صار
يختلف في الأمم المختلفة بالسن مختلفة وكذلك
الكتابة ككتابة العربي والسرياني والعبراني
والرومي وغيرها من سائر الكتابة التي هي متفرّقة
في الأمم انما اصطلحوا عليها كما اصطلحوا على الكلام
فيقال لمن ادّعى ذلك انّ الإنسان وان كان له في
الأمرين جميعاً فعل او حيلة فانّ الشيء الذي

يبلغ به ذلك الفعل والحيلة عطيته ووهبته من الله
عز وجل له في خلقته فانه لو لم يكن له لسان مهيا للكلام
وذهن يهتدي به للامور ولم يكن ليتكلم ابدا ولو
لم يكن له كف مهيئة واصابع للكتابة لم يكن
ليكتب ابدا واعتبر ذلك من البهايم التي لا كلام
لها ولا كتابة فاصل ذلك فطرة الباري جل وعز
وما تفضل به على خلقه فمن شكر اثيب ومن كفر
فان الله غني عن العالمين فكر يا مفضل فيما اعطى
الانسان علمه وما منع فانه اعطى علم جميع ما فيه
صلاح دينه ودنياه فما فيه صلاح دينه معرفة
الخالق تبارك وتعالى بالدلايل والشواهد
القايمة في الخلق ومعرفة الواجب عليه من العدل
على الناس كافة وبر الوالدين واداء الامانة
ومواساة اهل الخلة واشباه ذلك مما قد توجد
معرفته والاقرار والاعتراف به في الطبع و
الفطرة من كل امة موافقة او مخالفة وكذلك
اعطى علم ما فيه صلاح دنياه كالزراعة والغراس

نكهد اشتق

واستخراج الارضين واقتناء الاغنام والانعام
واستنباط المياه ومعرفة العقاقير التي يستشفى — عقار اصول الادوية صح
بها من ضروب الاسقام والمعادن التي يستخرج
منها انواع الجواهر وركوب السفن والغوص في
البحر وضروب الحيل في صيد الوحش والطير و
الحيتان والتصرف في الصناعات ووجوه المتاجر
والمكاسب وغير ذلك مما يطول شرحه ويكثر
تعداده مما فيه صلاح امره في هذه الدار فاعطى
علم ما يصلح به دينه ودنياه ومنع ما سوى ذلك
مما ليس في شانه ولا طاقته ان يعلم كعلم الغيب
وما هو كاين وبعض ما قد كان ايضا كعلم ما فوق
السماء والارض وما في لجج البحار واقطار العالم — ما تحت الارض صح
وما في قلوب الناس وما في الارحام واشباه
هذا مما حجب عن الناس علمه وقد ادعت طايفة
من الناس هذه الامور فابطل دعواهم ما يبين
من خطائهم فيما يقضون عليه ويحكمون به فيما
ادعوا علمه فانظر كيف اعطى الانسان علم جميع

ما يحتاج اليه لدينه ودنياه وحجب عنه ما سوى

ذلك ليعرف قدره ونقصه وكلا الامرين فيهما

صلاحه تامل الان يا مفضل ما ستر عن الانسان

علمه من مدة حياته فانه لو عرف مقدار عمره وكان

قصير العمر لم يتهنا بالعيش مع ترقب الموت وتوقعه

لوقت قد عرفه بل كان يكون بمنزلة من قد فني ماله

او قارب الفناء فقد استشعر الفقر والوجل من

فناء ماله وخوف الفقر على ان الذي يدخل على

الانسان من فناء العمر اعظم مما

يدخل عليه من فناء المال لان من يقل ماله يامل

ان يستخلف منه فيسكن الى ذلك ومن ايقن

بفناء العمر استحكم عليه الياس وان كان

طويل العمر ثم عرف ذلك وثق بالبقاء وانهمك

في اللذات والمعاصي وعمل انه يبلغ من ذلك

شهوته ثم يتوب في آخر عمره وهذا مذهب

لا يرضاه الله من عباده ولا يقبله الا ترى

لو ان عبدا لك عمل على انه يسخطك سنة

ويرضيك

ويرضيك يوما او شهرا لم تقبل ذلك منه ولم يحل

عندك محل العبد الصالح دون ان يضمر طاعتك

ونصحك في كل الامور في كل الاوقات على تصرف

الحالات فان قلت اوليس قد يقيم الانسان

على المعصية حينا ثم يتوب فيقبل توبته قلنا

ان ذلك شيء يكون من الانسان لغلبة الشهوات

له وتركه مخالفتها من غير ان يقدره في نفسه

ويبني عليه امره فيصفح الله عنه ويتفضل عليه

بالمغفرة فاما من قدر امره على ان يعصي ما بدا

له ثم يتوب آخر ذلك فانما يحاول خديعة من

لا يخادع بان يتسلف التلذذ في العاجل ويعد

ويمني نفسه التوبة في الآجل ولانه لا يفي بما يعد

من ذلك فان النزوع من الترفه والتلذذ و

معاناة التوبة ولا سيما عند الكبر وضعف

البدن امر صعب ولا يؤمن على الانسان

مع مدافعته بالتوبة ان يرهقه الموت

فيخرج من الدنيا غير تائب كما قد يكون

معاناة رنج و زحمت کشیدن

نزوع

رجع

المرهق گرفتن ...

عن الواحد دين الى اجل وقد يقدر على قضائه فلا
يزال يدافع بذلك حتى يحل الاجل وقد نفد المال فيبقى
الدين قائماً عليه فكان خير الاشيا للانسان ان يستر
عنه مبلغ عمره فيكون طول عمره يترقب الموت فيترك
المعاصى ويؤثر العمل الصالح فان قلت وها هو الان
قد ستر عنه مقدار حياته وصار يترقب الموت
فى كل ساعة يقارف الفواحش وينتهك المحارم
قلنا ان وجه التدبير فى هذا الباب هو الذى جرى
عليه الامر فيه فان كان الانسان مع ذلك لا يرعوى
ولا ينصرف عن المساوى فانما ذلك من مرحه
ومن قساوة قلبه لا من خطاء فى التدبير كما ان
الطبيب قد يصف للمريض ما ينتفع به فان كان
المريض مخالفا لقول الطبيب لا يعمل بما يامره ولا ينتهى
عما ينهاه عنه لم ينتفع بصفته ولم يكن الاساءة
فى ذلك للطبيب بل للمريض حيث لم يقبل منه ولئن
كان الانسان مع ترقبه للموت كل ساعة لا يمتنع
عن المعاصى فانه لو وثق بطول البقاء كان

احرى

٨٤

احرى بان يخرج الى الكباير الفظيعة فترقب الموت
على كل حال خير له من الثقة بالبقاء ثم ان ترقب
الموت وان كان صنفا من الناس يلهون عنه ولا
يتعظون به فقد يتعظ به صنف اخر منهم وينزعون
عن المعاصى ويؤثرون العمل الصالح ويجودون
بالاموال والعقايل النفيسه فى الصدقة على
الفقراء والمساكين فلم يكن من العدل ان يحرم
هولاء الانتفاع بهذه الخلصة لتضيع اولئك حظهم
منها فكر يا مفضل فى الاحلام كيف دبر الامر فيها
فمزج صادقها بكاذبها فانها لو كانت كلها تصدق
لكان الناس كلهم انبيا ولو كانت كلها تكذب لم يكن
فيها منفعة بل كانت فضلا لا معنى له فصارت تصدق
احيانا فينتفع بها الناس فى مصلحة يهتدى لها
او مضرة يتحذر عنها وتكذب كثيرا لئلا يعتمد
عليها كل الاعتماد فكر فى هذه الاشيا التى تراها موجودة
معدة فى العالم من مآربهم فالتراب للبنا والحديد
للصناعات والخشب للسفن وغيرها والحجارة

الأرحاء وغيرها والنحاس للأواني والذهب و
الفضة للمعاملة والجوهر للذخيرة والحبوب
للغذاء والثمار للتفكه واللحم للمأكل والطيب للتلذذ
والأدوية للتصحيح والدواب للحمولة والحطب للتوقد
والرماد للكلس والرمل للأرض وكم عسى أن يحصي
المحصي من هذا وشبهه أرأيت لو أن داخلا دخل
دارا فنظر إلى خزائن مملوة من كل ما يحتاج إليه الناس
ورأى كل ما فيها مجموعا معدا لأسباب معروفة
لكان يتوهم أن مثل هذا يكون بالإهمال ومن غير
عمد فكيف يستجيز قائل أن يقول هذا في العالم وما أعد
فيه من هذه الأشياء اعتبر يا مفضل بأشياء خلقت
لمآرب الإنسان وما فيها من التدبير فإنه خلق له
الحب لطعامه وكلف طحنه وعجنه وخبزه وخلق له
الوبر لكسوته وكلف ندفه وغزله ونسجه وخلق له
الشجر وكلف غرسها وسقيها والقيام عليها وخلقت
له العقاقير لأدويته وكلف لقطها وخلطها وصنعها
وكذلك تجد سائر الأشياء على هذا المثال فانظر

كيف

الكلس الكلس الصاروج ق

لقطه أخذه من الأرض

٨٥

كيف كفي الخلق التي لم يكن عنده فيها حيلة وترك
عليه في كل شيء من الأشياء موضع عمل وحركة لما له في
ذلك من الصلاح لأنه لو كفي هذا كله حتى لا يكون
له في الأشياء موضع شغل وعمل لما حملته الأرض
أشرا وبطرا ولبلغ به ذلك إلى أن يتعاطى أمورا فيها
تلف نفسه ولو كفي الناس كل ما يحتاجون إليه لما
تهنئوا بالعيش ولا وجدوا له لذة ألا ترى لو أن
امرءا نزل بقوم فأقام حينا بلغ جميع ما يحتاج إليه
من مطعم ومشرب وخدمة لتبرم بالفراغ ونازعته
نفسه إلى التشاغل بشيء فكيف لو كان طول عمره مكفيا
لا يحتاج إلى شيء فكان من صواب التدبير في هذه
الأشياء التي خلقت للإنسان أن جعل له فيها
موضع شغل لكيلا تبرمه البطالة ولتكفه عن تعاطي
ما لا يناله ولا خير فيه إن ناله اعلم يا مفضل أن
رأس معاش الإنسان وحياته الخبز والماء فانظر
كيف دبر الأمر فيهما فإن حاجة الإنسان إلى الماء أشد من
حاجته إلى الخبز وذلك أن صبره على الجوع أكثر من

صبره على الجوع اكثر من صبره على العطش والذي
يحتاج اليه من الماء اكثر مما يحتاج اليه من الخبز
لانه يحتاج لشربه ووضوئه وغسله وغسل ثيابه
وسقي انعامه وزرعه فجعل الماء مبذولا لا يشترى
ليسقط عن الانسان المؤنة في طلبه وتكلفه وجعل
الخبز متعذرا لا ينال الا بالحيلة والحركة ليكون
للانسان في ذلك شغل يكفه عما يخرجه اليه الفراغ
من الاشر والعبث الا ترى ان الصبي يدفع الى
المؤدب وهو طفل لم يكمل ذاته للتعليم كل ذلك
ليشتغل عن اللعب والعبث الذي ربما جنيا
عليه وعلى اهله المكروه العظيم وهكذا الانسان
لو خلا من الشغل لخرج من الاشر والعبث والبطر
الى ما يعظم ضرره عليه وعلى من قرب منه واعتبر
ذلك بما نشاء في الجدة ورفاهية العيش والترفه
والكفاية وما يخرجه ذلك اليه اعتبر لم لا يتشابه
الناس واحد بالاخر كما يتشابه الوحوش والطير
وغير ذلك فانك ترى السرب من الظباء والقطا

يتشابه

يتشابه حتى لا يفرق بين واحدة منها وبين الاخرى
وترى الناس مختلفة صورهم وخلقهم حتى لا
يفرق بين واحدة منها وبين الاخرى وترى الناس
مختلفة صورهم وخلقهم حتى لا يكاد اثنان
منهم يجتمعان في صفة واحدة والعلة في
ذلك ان الناس محتاجون الى ان يتعارفوا با
عيانهم وحلاهم لما يجري بينهم من المعاملات
وليس يجري بين البهائم مثل ذلك فيحتاج الى
معرفة كل واحد منها بعينه وحليته الا ترى
ان التشابه في الطير والوحش لا يضرها شيئا وليس
كذلك الانسان فانه ربما تشابه التوأمان تشابها
شديدا فتعظم المؤنة على الناس في معاملتهما
حتى يعطى احدهما بالاخر ويؤخذ احدهما
بذنب الاخر وقد يحدث مثل هذا في تشابه
الاشياء فضلا عن تشابه الصور فمن لطف
بعباده بهذه الدقائق التي لا تكاد تخطر با
لبال حتى وقف عليها الصواب الا من وسعت

[illegible]

عرسا وحولا لكل رجل اعطى الرجل اللحية لما له من العز
والجلالة والهيبة ومنعها المرئة لتبقى لها نظارة
الوجه والبهجة التي تشاكل المفاكهة والمضاجعة افلا
ترى الخلقة كيف ياتي بالصواب في الاشياء وتتخلل
مواضع الخطاء فتعطي وتمنع على قدر الارب و
المصلحة بتدبير الحكيم عز وجل قال يا مفضل ثم حان
وقت الزوال فقام مولاي الى الصلوة وقال بكر الي
غدا ان شاء الله تعالى فانصرفت من عنده مسرورا بما عرفته
مبتهجا بما اوتيته حامدا على ما انعم به علي شاكرا
لانعمه على ما منحني بما عرفنيه مولاي وتفضل به علي
فبت في ليلتي مسرورا بما منحنيه محبورا بما علمنيه
تم المجلس الاول يا مفضل يتلوه المجلس الثاني من
كتاب الادلة على الخلق والتدبير والرد على
القائلين بالاهمال ومنكري العمد برواية المفضل
عن الصادق صلوات الله عليه وعلى ابائه
قال المفضل فلما كان اليوم الثاني بكرت الى
مولاي فاستؤذن لي فدخلت فامرني
بالجلوس

المحبورا مسرورا

بالجلوس فجلست فقال ع الحمد لله مدبر الادوار ومعيد
الاكوار طبقا عن طبق وعالما بعد عالم ليجزي
الذين اساؤا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا با
لحسنى عدلا منه تقدست اسماؤه وجلت الاؤه
لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون
يشهد بذلك قوله جل قدسه فمن يعمل مثقال ذرة
خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره في نظاير لها
في كتابه الذي فيه تبيان كل شيء ولا ياتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد و
لذلك قال السيد محمد ص انما هي اعمالكم ترد اليكم
ثم اطرق هنيئة ثم قال يا مفضل الخلق حيارى
عمهون سكارى في طغيانهم يترددون وبشياطينهم
وطواغيتهم يقتدون بصراء عمي لا يبصرون نطقاء بكم
لا يعقلون سمعاء صم لا يسمعون رضوا بالدون و
حسبوا انهم مهتدون حادوا عن مدرجة
الاكياس ورتعوا في مرعى الارجاس الانجاس
كانهم من مفاجاة الموت امنون وعن المجازات

حاد يحيد حيدا مال

مزعجون يا ويلهم ما اشقاهم واطول عناهم واشد
بلاهم يوم لا يغني مولًى عن مولى شيئا ولاهم ينصرون
الا من رحم الله قال المفضل فبكيت لما سمعت منه
فقال لا تبك تخلصت اذ قبلت ونجوت اذ عرفت
ثم قال ابتدئ لك بذكر الحيوان ليتضح لك من امره
ما وضح لك من غيره فكر في ابنية ابدان الحيوان
وتهيئتها على ما هي عليه فلا هي صلاب كالحجارة
ولو كانت كذلك لا تنثني ولا تتصرف في الاعمال
ولا هي على غاية اللين والرخاوة فكانت لا تتحامل
ولا تستقل بانفسها فجعلت من لحم رخو تنثني
تتداخله عظام صلاب يمسكه عصب وعروق
تشده وتضم بعضه الى البعض وعليت فوق
ذلك بجلد يشتمل على البدن كله ومن اشباه ذلك
هذه التماثيل التي تعمل من العيدان وتلف بالخرق
وتشد بالخيوط وتطلى فوق ذلك بالصمغ
فتكون العيدان بمنزلة العصب والعروق والطلا
بمنزلة الجلد فان جاز ان يكون الحيوان المتحرك

حدث

حدث بالاهمال من غير صانع جاز ان يكون ذلك
في هذه التماثيل الميتة فان كان هذا غير جايز في
التماثيل فبالحري ان لا يجوز وفكر بعد هذا
في اجساد الانعام فانها حين خلقت على ابدان
الانس من اللحم والعظم والعصب اعطيت ايضا
السمع والبصر ليبلغ الانسان حاجته فانها
لو كانت عميا صما لما انتفع بها الانسان ولا تصرفت
في شيء من مآربه ثم منعت الذهن والعقل لتذل
للانسان فلا تمتنع عليه اذا كدها الكد الشديد
وحملها الحمل الثقيل فان قال قايل انه قد يكون
للانسان عبيد من الانس يذلون ويذعنون
بالكد الشديد وهم مع ذلك غير عديمي العقل والذهن
فيقال في جواب ذلك ان هذا الصنف من الناس
قليل فاما اكثر الناس فلا يذعنون بما تذعن
به الدواب من الحمل والطحن وما اشبه ذلك
ولا يغرون بما يحتاج اليه منه ثم لو كان الناس
يزاولون مثل هذه الاعمال بابدانهم لشغلوا بذلك

من سائر الاعمال لانه كان يحتاج مكان الجمل الواحد
والبغل الى احمال عدة اناسي فكان هذا العمل يستفرغ
الناس حتى لا يكون فيهم عنه فضل لشيء من الصناعات
مع ما يلحقهم من التعب الفادح في ابدانهم والضيق والكد
في معاشهم فكر يا مفضل في هذه الاصناف الثلاثة من الحيوان
وفي خلقها على ما هي عليه بما فيه صلاح كل واحد منها
فالانس لما قدر ان يكونوا ذوي ذهن وفطنة
وعلاج لمثل هذه الصناعات من البناء والتجارة والصيا
غة وغير ذلك خلقت لهم اكف كبار ذوات اصابع
غلاظ ليتمكنوا من القبض على الاشياء واوكدها
هذه الصناعات وآكلات اللحم لما قدر ان يكون
معايشها من الصيد خلقت اكف لطاف مدمجة
ذوات براثن ومخاليب تصلح لاخذ الصيد ولا تصلح
للصناعات وآكلات النبات لما قدر ان يكونوا لا ذات
صنعة ولا ذات صيد خلقت لبعضها اظلاف تقيها
خشونة الارض اذا حاول طلب الرعي ولبعضها حوافر
ململمة ذوات قعر كاخمص القدم تنطبق على الارض لتهيأ
للركوب

للركوب والحمولة تأمل التدبير في خلق آكلات اللحم
من الحيوان حين جعلت ذوات اسنان حداد وبراثن
شداد واشداق وافواه واسعة فانه لما قدر
ان يكون طعمها اللحم خلقت خلقة تشاكل ذلك
واعينت بسلاح وادوات تصلح للصيد وكذلك
تجد سباع الطير ذوات مناقير ومخالب مهيأة
لفعلها ولو كانت الوحوش ذوات مخاليب كانت
قد اعطيت ما لا يحتاج اليه لانها لا تصيد ولا
تاكل اللحم ولو كانت السباع ذوات الاظلاف
كانت قد منعت ما تحتاج اليه اعني السلاح
الذي به تصيد وتتعيش افلا ترى كيف اعطي كل
واحد من الصنفين ما يشاكل صنفه وطبعه بل
ما فيه بقاؤه وصلاحه انظر الآن الى ذوات
الاربع كيف تراها تتبع امهاتها مستقلة با
نفسها لا تحتاج الى الحمل والتربية كما يحتاج
اولاد الانس فمن اجل انه ليس عند امهاتها
ما عند امهات البشر من الرفق والعلم بالتربية

والقوة عليها بالأكف والأصابع المهيأة لذلك أعطيت النهوض والاستقلال بأنفسها وكذلك ترى كثيراً من الطير كمثل الدجاج والدراج والقبج تدرج وتلقط حين ينقاب عنها البيض فأما ما كان منها ضعيفاً لا نهوض فيه كمثل فراخ الحمام واليمام والحمر فقد جعل في الأمهات فضل عطف عليها فصارت تمج الطعام في أفواهها بعدما توعيه حواصلها فلا تزال تغذوها حتى تستقل بأنفسها ولذلك لم ترزق الحمام فراخاً كثيرة مثل ما ترزق الدجاج لتقوى الأم على تربية فراخها فلا تفسد ولا تموت فكلاً أعطي بقسط من تدبير الحكيم اللطيف الخبير انظر الآن الى قوائم الحيوان كيف تأتي أزواجاً لتتهيأ للمشي ولو كانت أفراداً لم تصلح لذلك لأن الماشي ينقل قوائمه فيعتمد على بعض فذو القائمتين ينقل واحدة ويعتمد على واحدة وذو الأربع ينقل اثنتين ويعتمد على اثنتين وذلك من خلاف لأن ذا الأربع لو كان ينقل

قائمتين

درج و دراج مشهوره

91

قائمتين من أحد جانبيه ويعتمد على قائمتين من جانب الآخر لما ثبت على الأرض كما لا يثبت السرير وما أشبهه فصار ينقل اليمنى من مقاديمه مع اليسرى من مآخيره وينقل الأخريين أيضاً من خلاف فيثبت على الأرض ولا يسقط إذا مشى أما ترى الحمار كيف يذل للطحن والحمولة وهو يرى الفرس مودعاً منعماً والبعير لا يطيقه عدة رجال لو استعصى كيف كان ينقاد للصبي والثور الشديد كيف كان ينقاد للصبي والثور الشديد كيف كان يذعن لصاحبه حتى يضع النير على عنقه ويحرث به والفرس الكريم يركب السيوف والأسنة بالمواتاة لفارسه والقطيع من الغنم يرعاه رجل واحد ولو تفرقت الغنم فأخذ كل واحد منها في ناحية لم يلحقها وكذلك جميع الأصناف المسخرة للإنسان فبم كانت كذلك إلا بأنها عدمت العقل والروية فإنها لو كانت تعقل وتروي في الأمور كانت خليقة أن تلتوي على الإنسان في كثير من مآربه

جمع سنان

حتى يمتنع الجمل على قاعده والثور على صاحبه وتتفرق
الغنم عن راعيها واشباه هذا من الامور وكذلك
هذه السباع لو كانت ذات عقل وروية
فتوازرت على الناس كانت خليقة ان تجتاحهم
فمن كان للاسد والذياب والنمورة والدببة
لو تعاونت وتظاهرت على الناس افلا ترى كيف
حجر ذلك عليها وصارت مكان ما كان يخاف من
اقدامها ونكايتها تهاب مسالك وتحجم عنها
ثم لا تظهر ولا تنتشر لطلب قوتها الا بالليل
فهو مع صولتها كالخايف للانس بل مقموعة ممنوعة
منهم ولولا ذلك لساورتهم في مساكنهم
وضيقت عليهم ثم جعل في الكلب من بين
هذه السباع عطف على مالكه ومحاماة
عنه وحفاظ له فهو ينتقل على الحيطان
والسطوح في ظلمة الليل لحراسة منزل
صاحبه وذب الذعار عنه ويبلغ من محبته
لصاحبه ان يبذل نفسه للموت دونه ودون

ماشيته

عنه محاماة ن
ينفعت منه 6

الذب الدفع
الذعار الضم
الخوف م

ماشيته وماله ويالفه غاية الالف حتى يصبر معه على الجوع
والجفوة فلم طبع الكلب على هذا الالف الا ليكون
حارسا للانسان له عين بانياب ومخالب
ونباح هايل ليذعر منه السارق ويتجنب المواضع
التي يحميها ويحفظها **يا مفضل** تامل وجه الدابة
كيف هو فانك ترى العينين شاخصتين امامها
لتبصر ما بين يديها لئلا تصدم حايطا او تتردى
في حفرة وترى الفم مشقوقا شقا في اسفل الخطم
ولو شق كمكان الفم من الانسان في مقدم الذقن
لما استطاع ان يتناول به شيئا من الارض
الا ترى ان الانسان لا يتناول الطعام بفيه
ولكن بيده تكرمة له على ساير الاكلات فلما
لم يكن للدابة يد تتناول بها العلف جعل خطمها
مشقوقا من اسفله لتقبض به على العلف ثم
تقضمه واعينت بالجحفلة تتناول بها ما
قرب وما بعد اعتبر بذنبها والمنفعة
لها فيه فانه بمنزلة الطبق على الدبر

يحكم عفاوه لهم

يسمى الكلب باطراف اسنانه ق
تقديم الشفة للبغال
والحمير الجحفلة بمنزلة الخيل ق

والحيا جميعها يواريهما ويسترهما ومن منافعها
فيه ان ما بين الدبر ومراق البطن منها ومن يجتمع
عليه الذباب والبعوض فجعل لها الذنب كأنه
المذبة تذب بها عن ذلك الموضع ومنها ان الدابة
تستريح الى تحريكه وتصريفه يمنة ويسرة فانه
لما كان قيامها على الاربع باسرها وشغلت
المقدمتان بحمل البدن عن التصرف والتقلب
كان لها في تحريك الذنب راحة وفيه منافع
اخرى يقصر عنها الوهم يعرف موقعها في وقت
الحاجة اليها فمن ذلك ان الدابة ترتطم في
الوحل فلا يكون شيء اعون على نهوضها من
الاخذ بذنبها وفي شعر الذنب منافع للناس
كثيرة يستعملونها في مآربهم ثم جعل ظهرها
مسطحا مبطوحا على قوائم اربع ليتمكن من
ركوبها وجعل حياها بارزا من ورائها
ليتمكن الفحل من ضربها ولو كان اسفل البطن
كما كان الفرج من المرأة لم يتمكن الفحل منها

الا ترى

قال عليه السلام الا ترى انه لا يستطيع ان يأتيها كفاحا
كما يأتي الرجل المرأة تأمل مشفر الفيل وما فيه
من لطيف التدبير فانه يقوم مقام اليد في
تناول العلف والماء وازدرادها الى جوفه ولولا
ذلك ما استطاع ان يتناول شيئا من الارض
لانه ليس له رقبة يمدها كسائر الانعام فلما عدم
العنق اعين مكان ذلك بالخرطوم الطويل ليسدله
فيتناول به حاجته فمن ذا الذي عوضه مكان
العضو الذي عدمه ما يقوم مقامه الا الرؤوف بخلقه
وكيف يكون هذا بالاهمال كما قالت الظلمة فان
قال قائل فما باله لم يخلق ذا عنق كسائر الانعام
قيل له ان رأس الفيل واذنيه امر عظيم وثقل
ثقيل ولو كان ذلك على عنق عظيم لهدها
واوهنها فجعل رأسه ملصقا بجسمه لكيلا
ينال منه ما وصفنا وخلق له مكان العنق
هذا المشفر ليتناول به غذاءه فصار مع عدمه
العنق مستوفيا ما فيه بلوغ حاجته انظر الان

كيف حياء الأنثى من الفيلة في اسفل بطنها فاذا
هاجت للضرب ارتفع وبرز حتى يتمكن الفحل من
ضربها فاعتبر كيف جعل حياء الأنثى من الفيلة على
خلاف ما عليه في غيرها من الأنعام ثم جعلت فيه
هذه الخلة ليتهيأ للأمر الذي فيه قوام النسل ودوامه
فكر في خلق الزرافة واختلاف اعضائها وشبهها
باعضاء اصناف من الحيوان فرأسها رأس فرس
وعنقها عنق جمل واظلافها اظلاف بقرة وجلدها
جلد نمر وزعم ناس من الجهال بالله عز وجل
ان نتاجها من فحول شتى قالوا وسبب ذلك
ان اصناف من حيوان البر اذا وردت الماء
تنزو على بعض السائمة وينتج مثل هذا الشخص
الذي هو كالملتقط من اصناف شتى هذا جهل
من قائله وقلة معرفته بالباري جل وعز
وليس كل صنف من الحيوان يلقح البقر كل
صنف فلا الفرس يلقح الجمل ولا الجمل يلقح
البقر وانما يكون التلقيح من بعض الحيوان فيما

يتألف

يتألف ويقرب من خلقه كما يلقح الفرس الحمارة
فيخرج بينهما البغل ويلقح الذئب الضبع فيخرج
من بينهما السمع على انه ليس يكون في الذي يخرج
من بينهما عضو من كل واحد منهما كما في الزرافة
عضو من الفرس وعضو من الجمل واظلاف من
البقر بل يكون كالمتوسط بينهما الممتزج منهما
كالذي تراه في البغل فانك ترى راسه واذنيه
وكفله وذنبه وحوافره وسطا بين هذه الاعضاء
من الفرس والحمار وشحيحه كالممتزج من صهيل
الفرس ونهيق الحمار فهذا دليل على انه ليست
الزرافة من لقاح اصناف شتى من الحيوان
كما زعم الجاهلون بل هي خلق عجيب من خلق الله
للدلالة على قدرته التي لا يعجزها شيء وليعلم
انه خالق اصناف الحيوان كلها يجمع بين ما
يشاء من اعضائها في ايها شاء ويفرق ما
شاء منها في ايها شاء ويزيد في خلقه ما شاء
وينقص منها ما شاء دلالة على قدرته على الأشياء
وانه لا يعجزه شيء اراده جل وعز فاما طول عنقها

والمنفعة لها في ذلك فان منشاها ومرعاها في غابل
ذوات اشجار شاهقة ذاهبة طولاً في الهوى فهي
تحتاج الى العنق لتناول بفيها اطراف تلك
الأشجار فتتقوت من ثمارها تامل خلق القرد
وشبهه بالانسان في كثير من اعضائه اعني الراس
والوجه والمنكبين والصدر وكذلك احشاؤه
شبيهة ايضا باحشاء الانسان وخص مع ذلك
بالذهن والفطنة التي بها يفهم عن سائسه
ما يومي اليه ويحكي كثيرا مما يرى الانسان و
شمائله في التدبير وخلقته على ما هي عليه ان
يكون عبرة للانسان في نفسه فيعلم انه من طينة
البهائم وسنخها اذ كان يقرب من خلقها
هذا القرب وانه لولا فضيلة فضله بها في الذهن
والعقل والنطق كان كبعض البهائم على ان
في جسم القرد فضولاً اخرى يفرق بينه وبين
الانسان كالخطم والذنب المسدل والشعر
المجلل للجسم كله وهذا لم يكن مانعا للقرد ان
يلحق بالانسان لو اعطي مثل ذهن الانسان

بالصحة

بالصحة وهو النقص في العقل والذهن والنطق
انظر يا مفضل الى لطف الله جل اسمه بالبهائم
كيف كسيت اجسامهم هذه الكسوة من الشعر
والوبر والصوف ليقيها من البرد وكثرة الآفات
والبست الاظلاف والحوافر والاخفاف ليقيها
من الحفا اذ كانت لا ايدي لها ولا اكف ولا اصابع
مهياة للغزل والنسج فكفوا بان جعل كسوتهم في
خلقتهم باقية عليهم ما بقوا لا يحتاجون الى
تجديدها والاستبدال بها فاما الانسان فانه
ذو حيلة وكف مهيا للعمل فهو ينسج ويغزل
ويتخذ لنفسه الكسوة ويستبدل بها حالاً
بعد حال وله في ذلك صلاح من جهات
من ذلك انه يشتغل بصنعة اللباس عن العبث
وما يخرج اليه الكفاية ومنها ان يتخذ لنفسه
من الكسوة ضروبا لها جمال وروعة فيتلذذ
بلبسها وتبديلها وكذلك يتخذ بالرفق
من الصنعة ضروبا من الخفاف والنعال
يقي بها قدميه وفي ذلك معايش لمن يعمله

من الناس ومكاسب يكون فيها معاشهم ومنها
اقواتهم واقوات عيالهم نصار الشعر والوبر
الصوف يقوم للبهايم مقام الكسوة والاظلاف
والحوافر والاخفاف مقام الحذا فكر يا مفضل
فی خلقة عجيبة جعلت فی البهايم فانهم يوارون
انفسهم اذا ماتوا كما يوارى الناس موتاهم
والا فاين جيف هذه الوحوش والسباع وغيرها
لا يرى منها شیء وليست قليلة فتخفى لقلتها بل
لو قال قائل انها اكثر من الناس لصدق فاعتبر
ذلك بما تراه فی الصحارى والجبال من اسراب
الظباء والمهاء والحمير والوعول والايايل
وغير ذلك من الوحوش واصناف السباع
من الاسد والضباع والذياب والنمور
وغيرها وضروب الهوام والحشرات ودواب
الارض وكذلك اسراب الطير من الغربان و
القطاء والاوز والكراكی والحمام وسباع
الطير جميعا وكلها لا يرى منها اذا ماتت
الا الواحد بعد الواحد يصيده قانص

اويفترص

او يفترسه سبع فاذا احسوا بالموت كمنوا فی
مواضع خفية فيموتون فيها ولولا ذلك لامتلأت
الصحارى منها حتى تفسد رائحة الهواء وتحدث
الامراض والوبا فانظر الی هذا الذی يخلص اليه
الناس وعملوه بالتمثيل الاول الذی مثل لهم
كيف جعل طبعا واذكارا فی البهايم وغيرها
ليسلم الناس من معرة ما يحدث عليهم من
الامراض والفساد فكر يا مفضل فی الفطن
التی جعلت فی البهايم لمصلحتها بالطبع
والخلقة لطفا من الله عز وجل لهم لئلا
يخلوا من نعمته جل وعز احد من خلقه لا بعقل
ورويته فان الايل ياكل الحيات فيعطش
عطشا شديدا فيمتنع من شرب الماء خوفا
من ان يدب السم فی جسمه فيقتله ويقف
على الغدير وهو مجهود عطشا فيعج عجيجا
عاليا ولا يشرب منه ولو شرب لمات من
ساعته فانظر الی ما جعل من طباع
هذه البهيمة من الوعل الظاء الغالب

خوفاً من المعرّة فى الشرب وذلك مما لا يكاد الانسان
العاقل المميز يضبطه من نفسه والثعلب اذا اعوزه
الطعم تماوت ونفخ بطنه حتى يحسبه الطير ميتاً
فاذا وقعت عليه لتنهشه وثب عليها فا
خذها فمن اعان الثعلب العديم النطق
والروية بهذه الحيلة الا من توكل برزقه من
هذا وشبهه فانه لما كان الثعلب يضعف
عن كثير مما يقوى عليه السباع من مساورة
الصيد اعين بالدهاء والفطنة والاحتيال
لمعاشه والدلفين يلتمس صيد الطير فيكون
حيلته فى ذلك ان ياخذ السمك فيقتله و
يسرحه حتى يطفو على الماء ثم يكمن تحته
ويثوّر الماء الذى عليه حتى لا يتبين شخصه
فاذا وقع الطير على السمك الطافى وثب اليها
فاصطادها فانظر الى هذه الحيلة كيف
جعلت طبعاً فى هذه البهيمة لبعض المصلحة
قال المفضل فقلت خبرنى يا مولاى عن
التنين والسحاب فقال عليه السلام

ان

ان السحاب كالموكل به يختطفه حيثما ثقفه كما
يختطف حجر المغناطيس الحديد فهو لا يطلع راسه
فى الارض خوفاً من السحاب ولا يخرج الا فى القيظ
مرة اذا صحت السماء فلم يكن فيها نكتة من غيم
قلت فلم وكّل السحاب بالتنين يرصده ويختطفه
اذا وجده قال ليدفع عن الناس مضرته قال المفضل
فقلت قد وصفت لى يا مولاى من امر البهائم
ما فيه معتبر لمن اعتبر فصف لى الذرة والنمل
والطير فقال ع يا مفضل تامل وجه الذرة الحقيرة
الصغيرة هل تجد فيها نقصاً عما فيه صلاحها فمن
اين هذا التقدير والصواب فى خلق الذرة الا
من التدبير القائم فى صغير الخلق وكبيره انظر الى
النمل واحتشاده فى جمع القوت واعداده فانك
ترى الجماعة منها اذا نقلت الحب الى زبيتها
بمنزلة جماعة من الناس ينقلون الطعام او غيره
بل للنمل فى ذلك من الجد والتشمير ما ليس للناس
مثله اما تراهم يتعاونون على النقل كما
يتعاون الناس على العمل ثم يعمدون الى

الى الحب فيقطعونه قطعاً لكي لا ينبت فيفسد عليهم
فان اصابه ندى اخرجوه فنشروه حتى يجف ثم لا يتخذ
النمل الزبية الا في نشز من الارض كي لا يفيض السيل
فيغرقها فكل هذا منه بلا عقل ولا روية بل خلقة خلق
عليها لمصلحة لطفا من الله جل وعز انظر الى هذا
الذي يقال له الليث وتسميه العامة اسد الذباب
وما اعطي من الحيلة والرفق في معاشه فانك
تراه حين يحس بالذباب قد وقع قريبا منه
تركه مليّاً حتى كانه موات لا حراك به فاذا راى
الذباب قد اطمان وغفل عنه دب دبيبا دقيقا
حتى يكون منه بحيث يناله وثبه ثم يثب عليه فياخذه
فاذا اخذه اشتمل عليه بجسمه كله مخافة ان ينجو منه
فلا يزال قابضا عليه حتى يحس بانه قد ضعف
واسترخى ثم يقبل عليه فيفترسه ويحيى منه فاما
العنكبوت فانه ينسج ذلك النسج فيتخذه شركا
ومصيدة للذباب ثم يكمن في جوفه فاذا نشب فيه
الذباب احال عليه يلدغه ساعة بعد ساعة
فيعيش بذلك منه فكذلك يحكى صيد الكلاب
والفهود

والفهود وهكذا يحكى صيد الاشراك والحبائل
فانظر الى هذه الدويبة الضعيفة كيف جعل
في طبعها ما لا يبلغه الانسان الا بالحيلة
واستعمال الآلات فيها فلا تزدر بالشيء
اذا كانت العبرة فيه واضحة كالذرة والنملة
وما اشبه ذلك فان المعنى النفيس قد يمثل بالشيء
الحقير فلا يضعه ذلك كما لا يضع
الدينار وهو من ذهب ان يوزن بمثقال
من حديد تامل يا مفضل في جسم الطائر
وخلقته فانه حين قدر ان يكون طائرا
في الجو خفف جسمه وادمج خلقه فاقتصر
به من القوائم الاربع على اثنتين ومن الاصابع
الخمس على اربع ومن منفذين للزبل والبول
على واحد يجمعهما ثم خلق ذا جؤجؤ محدد
ليسهل عليه ان يخرق الهواء كيف ما اخذ
فيه كما جعل السفينة بهذه الهيئة لتشق
الماء وتنفذ فيه وجعل في جناحيه

وقدر له ريشات طوال متان لينهض بها للطيران وكسي
كله الريش ليتداخله الهواء فيقله ولما قدر ان
يكون طعمه الحب واللحم يبلعه بلعا بلا مضغ نقص
من خلقه الاسنان وخلق له منقار صلب جاس
يتناول به طعمه فلا ينسحج من لقط الحب ولا
يتقصف من نهش اللحم ولما عدم الاسنان
وصار يزدرد الحب صحيحا واللحم غريضا اعين
بفضل حرارة في الجوف تطحن له الطعم طحنا
يستغني به عن المضغ واعتبر ذلك بان عجم العنب
وغيره يخرج من اجواف الانس صحيحا و
يطحن في اجواف الطير لا يرى له اثر ثم جعل
مما يبيض بيضا ولا يلد ولادة لكيلا يثقل
عن الطيران فانه لو كانت الفراخ في جوفه
تمكث حتى تستحكم لاثقلته وعاقته عن النهوض
والطيران فجعل كل شيء من خلقه مشاكلا
للامر الذي قدر ان يكون عليه ثم صار
الطائر السائح في هذا الجو يقعد على بيضه

فيحضنه

فيحضنه اسبوعا وبعضها اسبوعين وبعضها
ثلثة اسابيع حتى يخرج الفرخ من البيضة ثم
يقبل عليه فيزقه الريح لتتسع حوصلته للغذاء
ثم يربيه ويغذيه بما يعيش به فمن كلفه ان يلقط
الطعم ويستخرجه بعد ان يستقر في حوصلته
ويغذو به فراخه ولاي معنى يحتمل هذه المشقة
وليس بذي روية ولا تفكر ولا يامل في فراخه
ما يامل الانسان في ولده من العز والرفد وبقاء
الذكر فهذا من فعل يشهد بانه معطوف على فراخه
لعلة لا يعرفها ولا يفكر فيها وهي دوام النسل
وبقاؤه لطفا من الله تعالى ذكره انظر الى الدجاجة
كيف تهيج لحضن البيض والتفريخ وليس لها بيض
مجتمع ولا وكر موطى بل تنبعث وتنتفخ وتقوقي
وتمتنع من الطعم حتى يجمع لها البيض فتحضنه
وتفرخ فلم كان ذلك منها الا لاقامة النسل
ومن اخذها باقامة النسل ولا روية ولا تفكر
لولا انها مجبولة على ذلك اعتبر بخلق البيضة

ودمافيهامن المخ الأصفر المحاثر والماء الأبيض الرقيق
فبعضه ينتشر منه الفرخ وبعضه ليغذي به
الى ان تنقاب عنه البيضة وما فيه لك من التدبير
فانه لوكان نشو الفرخ في تلك القشرة المستحصنة
التي لامساغ لشي اليها لجعل معه في جوفها من
الغذاء ما يكتفي به الى وقت خروجه منها فكر
في حوصلة الطاير وما قدر له فان مسلك الطعم
الى القانصة ضيق لا ينفذ فيه الطعام الا قليلاً
قليلاً فلو كان الطاير لا يلقط حبة ثانية حتى تصل
الأولى الى القانصة لطال عليه ومتى كان يستوفي
طعمه فانما يختلسه اختلاساً لشدة الحذر فجعلت
الحوصلة كالمخلاة المعلقة امامه ليوعي فيها
ما ادرك من الطعم بسرعة ثم تنفذه الى القانصة
على مهل وفي الحوصلة ايضاً خلة اخرى فان
من الطاير ما يحتاج الى ان يزق فراخه فيكون
رده للطعم من قرب اسهل عليه قال المفضل
فقلت ان قوماً من المعطلة يزعمون ان اختلاف

الألوان

شخصه شيء ثم

كمن يحبس في حبس حصين
لا يوصل اليه من فيه فيجعل
معه من القوت ما يكتفي
به الى وقت خروجه منه
نخ صح صح

الألوان والأشكال في الطير انما يكون من قبيل
امتزاج الأخلاط واختلاف مقاديرها بالمرج
والاهمال فقد ٤ يا مفضل هذا الوشي الذي
تراه في الطواويس والدراج والتدارج على
استواء ومقابلة كنحو ما يخط بالأقلام
كيف ياتي به الامتزاج المهمل على شكل واحد
لا يختلف لو كان بالاهمال لعدم الاستواء
لكان مختلفاً تأمل ريش الطير كيف هو فانك
تراه منسوجاً كنسج الثوب من سلوك دقاق
قد الف بعضه الى بعض كتأليف الخيط الى
الخيط والشعر الى الشعر ثم ترى ذلك النسج اذا
مددته ينفتح قليلاً ولا ينشق لتداخله الريح
فيقل الطاير اذا طار وترى في وسط الريشة
عموداً غليظاً متيناً قد نسج عليه الذي هو مثل
الشعر ليمسكه بصلابته وهو القصبة التي في
وسط الريشة وهو مع ذلك اجوف ليخف

على الطاير ولا يعوقه عن الطيران هل رايت
هذا الطاير الطويل الساقين وعرفت ما له المنفعة في
ساقيه فانه اكثر ذلك في ضحضاح من الماء فتراه
بساقين طويلين كانه ربيئة فوق مرقبه وهو
يتامل ما يدب في الماء فاذا راى شيئا مما
يتقوت به خطا خطوات رقيقا حتى يتناوله
ولو كان قصير الساقين كان يخطو نحو الصيد
لياخذه يصيب بطنه الماء فيثور ويذعر منه
فيتفرق عنه فخلق له ذلك العمودان ليدرك بهما
حاجته ولا يفسد عليه مطلبه تامل ضروب
من التدبير في خلق الطاير فانك تجد كل طاير
طويل الساقين طويل العنق وذلك ليتمكن
من تناول طعمه من الارض ولو كان طويل
الساقين قصير العنق لما استطاع ان
يتناول شيئا من الارض وربما اعين
مع طول العنق بطول المناقير ليزداد
الامر

الضحضاح الماء القريب القعر

الامر عليه سهولة وامكانا افلا ترى انك
لا تفتش شيئا من الخلقة الا وجدته على
غاية الصواب والحكمة انظر الى العصافير كيف
يطلب اكلها بالنهار فهي لا تفقده ولا هي تجده
مجموعا معدا بل تناوله بالحركة والطلب وكذلك
الخلق كله فسبحان من قدر الرزق كيف قوته
فلم يجعل مما لا يقدر عليه اذ جعل بالخلق
الخلق حاجة اليه ولم يجعله مبذولا ينال بالهوينا
الهوينا اذ كان لا صلاح في ذلك فانه لو كان يوجد
مجموعا معدا كانت البهايم تتقلب عليه ولا تنقلع
عنه حتى تبشم فتهلك وكان الناس ايضا يصيرون
بالفراغ الى غاية الاشر والبطر حتى يكثر الفساد
ويظهر الفواحش اعلمت ما طعم هذه الاصناف
من الطير التي لا تخرج الا بالليل كمثل البوم
والهام والخفاش قلت يا مولاي قال ان
معاشها من ضروب تنتشر في هذا الجو من

البعوض والفراش واشباه الجراد واليعاسيب
وذلك ان هذه الضروب مبثوثة فى الجو
لا يخلو منها موضع واعتبر ذلك بانك
اذا وضعت سراجا فى الليل فى سطح اوعرصة
دار اجتمع عليه من هذا شئ كثير فمن اين ياتى
ذلك كله الا من القرب فان قال قائل انه
ياتى من الصحارى والبرارى قيل له كيف
يوافى تلك الساعة من موضع بعيد وكيف
يبصر من ذلك البعد سراجا فى دار محفوفة
بالدور فيقصد اليه مع ان هذه عيانا
تتهافت على السراج من قرب فيدل ذلك
على انها منتشرة فى كل موضع من الجو
فهذه الاصناف من الطير تلتمسها اذا
خرجت فتتقوت بها فانظر كيف وجه
الرزق لهذه الطيور التى لا تخرج الا

بالليل

بالليل من هذه الضروب المنتشرة فى الجو
واعرف مع ذلك المعنى فى خلق هذه الضروب
التى عسى ان يظن ظان انها فضل لا معنى له خلق
الخفاش خلقة عجيبة بين خلقة الطير وذوا
ت الاربع بل هو الى ذوات الاربع اقرب وذ
لك انه ذو اذنين ناشزتين واسنان ووبر وهو
يلد ولادا ويرضع ويبول ويمشى اذا مشى على ا
ربع وكل هذا خلاف صفة الطير ثم هو ايضا مما
يخرج بالليل ويتقوت مما يسرى فى الجو من الفراش
وما اشبهه وقد قال قائلون انه لا طعم للخفاش
وان غذاءه من النسيم وحده وذلك يفسد ويبطل
من جهتين احديهما خروج ما يخرج منه من الثفل وا
لبول فان هذا لا يكون من غير طعم ولا انه
ذو اسنان ولو كان لا يطعم شيئا لم يكن للاسنان
فيه معنى وليس فى الخلقة شئ لا معنى له واما المآرب

فيه خلقته العجيبة الدالة على قدرة الخالق
جل ثناؤه وتصرفها فيما شاء كيف شاء لضرب
من المصلحة فاما الطاير الصغير الذى يقال له
ابوغرة فقد عشش فى بعض الاوقات فى بعض
الشجر فنظر الى حية عظيمة قد اقبلت نحو عشه
فاغرة فاها لتبلعه فبينما هو يتقلب ويضطرب
فى طلب حيلة منها اذ وجد حسكة
فحملها فالقاها فى فم الحية فلم تزل ا
الحية تلتوى وتتقلب حتى ماتت ا
فرايت لو لم ا خبرك بذلك كان يخطر
ببالك او ببال غيرك ان يكون من
حسكة مثل هذه المنفعة العظيم
او يكون من طاير صغير او كبير

مثل

مثل هذه الحيلة اعتبر بهذا وكثير
من الاشياء يكون فيها منافع لا تعرف الا بحادث يحدث
به والخبر يسمع به انظر الى النحل
واحتشاده فى صنعة العسل و
تهيئة البيوت المسدسة و
ما ترى فى ذلك من دقايق
الفطن فانك اذا تاملت العمل
رايته عجيبا لطيفا واذا رايت
المعمول وجدته عظيما شريفا
موقعه من الناس واذا رجعت
الى الفاعل الفيته غبيا جاهلا

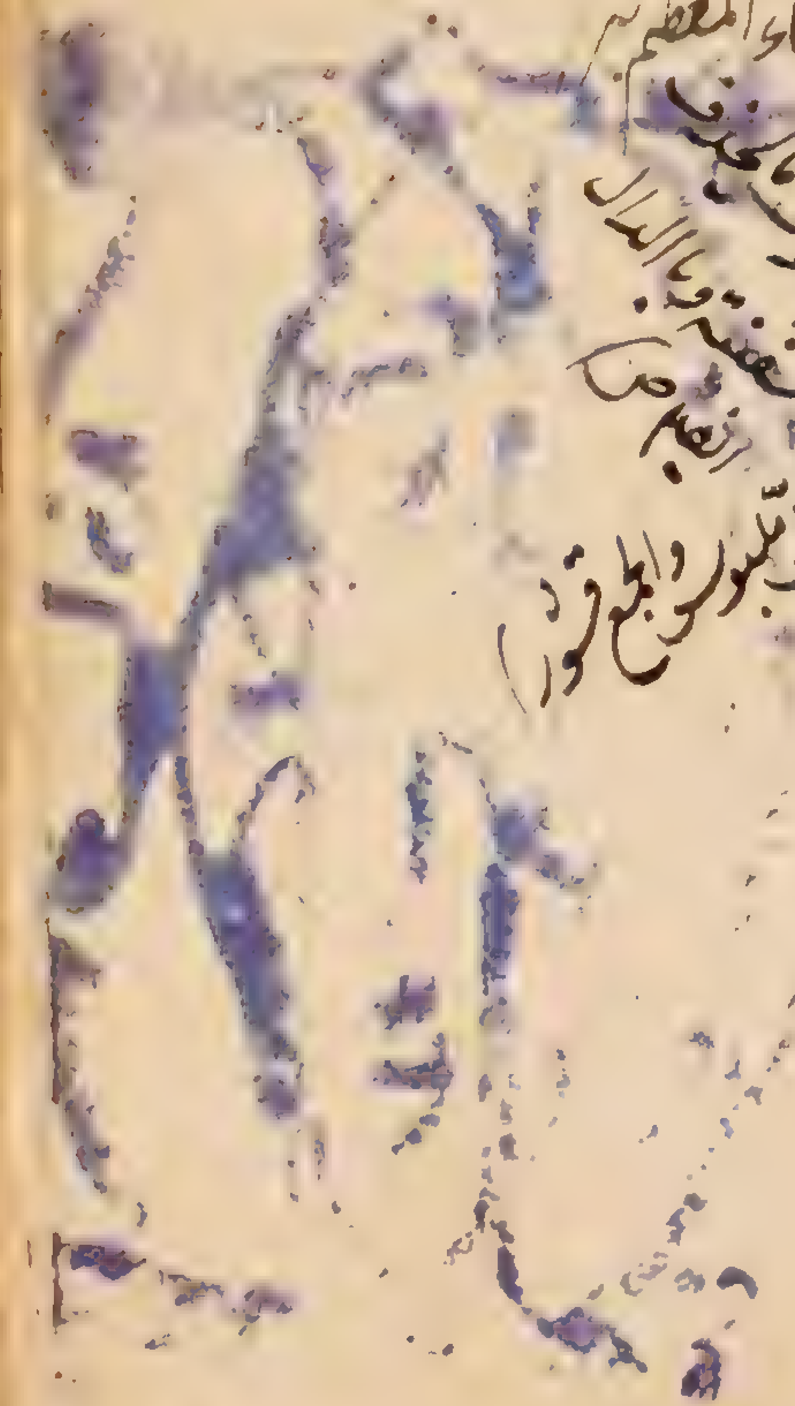
بنفسه فضلاً عما سوى ذلك
ففي هذا اوضح الدلالة على ان الصواب
والحكمة في هذه الصنعة ليس للنحل
بل هي للذي طبعه عليها وسخره فيها
لمصلحة الناس انظر الى هذه الجراد ما
اضعفه واقواه فانك اذا تاملت خلقه
رايته كاضعف الاشياء وان دلفت
عساكره نحو بلد من بلدان لم يستطيع احد
ان يحميه منه الا ترى ان ملكا من ملوك
الارض لو جمع خيله ورجله ليحمي بلاده
من الجراد لم يقدر على ذلك افليس من
الدلايل على قدرة الخالق ان يبعث
اضعف خلقه الى اقوى خلقه فلا يستطيع دفعه

انظر



انظر اليه كيف ينساب على وجه الارض مثل السيل
فيغشى السهل والجبل والبدو والحضر حتى يستر نور
الشمس بكثرته فلو كان هذا مما يصنع بالايدي متى
كان يجتمع منه هذه الكثرة وفي كم من سنة كان
يرتفع فاستدل بذلك على القدرة التي لا يوودها
شيء ولا يكثر عليها تامل خلق السمكة ومشاكلته
للامر الذي قدر ان يكون عليه فانه خلق غير ذي قوايم
لانه لا يحتاج الى المشي اذ كان مسكنه الماء وخلق
غير ذي رية لانه لا يستطيع ان يتنفس وهو
منغمس في اللجة وجعلت له مكان القوايم اجنحة
شداد تضرب بها في جانبيه كما يضرب الملاح
بالمجاديف من جانبي السفينة وكسي جسمه قشورا
متانا متداخلة كتداخل الدروع والجواشن لتقيه
من الافات فاعين بفضل حس في الشم لان
بصره ضعيف والماء يحجبه فصار يشم الطعم من البعد
البعيد فينتجعه والا فكيف يعلم به وبموضعه

طير الكلاء في موضع ق



واعلم ان من فيه الى صماخيه منافذ فهو يعب الماء
بفيه ويرسله من صماخيه فيتروح الى ذلك كما يتروح
غيره من الحيوان الى تنسم هذا النسيم فكر الان في كثرة
نسله وما خص به من ذلك فانك ترى في جوف السمكة الواحدة
من البيض ما لا يحصى كثرة والعلة في ذلك ان يتسع لما
يغتذي به من اصناف الحيوان فان اكثرها يأكل
السمك حتى ان السباع ايضا في حافات الآجام عاكفة
على الماء ايضا كي ترصد السمك فاذا مر بها خطفته
فلما كانت السباع تأكل السمك والطير يأكل السمك
والناس يأكلون السمك والسمك يأكل السمك كان من
التدبير فيه ان يكون على ما هو عليه من الكثرة
فاذا اردت ان تعرف سعة حكمة الخالق وقصر علم
المخلوقين فانظر الى ما في البحار من ضروب السمك
ودواب الماء والاصداف والاصناف التي لا تحصى
ولا تعرف منافعها الا الشيء بعد الشيء يدركه
الناس باسباب تحدث مثل القرمز فانه انما

حافات الوادي وغيره ما بيان والجمع حافات ق م

عرف

عرف الناس صبغه بان كلبة تجول على شاطئ البحر
فوجدت شيئا من الصنف الذي يسمى الحلزون
فاكلته فاختضب خطمها بدمه فنظر الناس الى حسنه
فاتخذوه صبغا واشباه هذا مما يقف الناس عليه
حالا بعد حال وزمانا بعد زمان قال
المفضل حان وقت الزوال فقام مولاي ع
الى الصلوة وقال بكر الي غدا ان شاء الله فانصرفت
وقد تضاعف سروري بما عرفنيه مبتهجا بما
منحنيه حامدا لله على ما آتانيه فبت ليلتي مسرورا
مبتهجا قال المفضل فلما كان اليوم الثالث بكرت الى
الى مولاي فاستؤذن لي فدخلت فاذن لي
بالجلوس فجلست فقال ع الحمد لله الذي
اصطفانا ولم يصطف علينا اصطفانا بعلمه وا
يدنا بحلمه من شذ عنا فالنار مأواه ومن
تفيأ بظل دوحتنا فالجنة مثواه قد شرحت
لك يا خلق الانسان وما دبر به وتنقله في احواله

وما فيه من الاعتبار وشرحت لك امر الحيوان وانا ابتدئ الان
بذكر السماء والشمس والقمر والنجوم والفلك والليل والنهار
والحر والبرد والرياح والجواهر الاربعة الارض والماء
والهواء والنار والمطر والصخر والجبال والطين و
الحجارة والمعادن والنبات والنخل والشجر وما في
ذلك من الادلة والعبر فكر في لون السماء وما فيه من
صواب التدبير فان هذا اللون اشد الالوان موافقة
للبصر وتقوية حتى ان صفة الاطباء لمن اصابه شيء
اضر ببصره ادمان النظر الى الخضرة وما قرب منها
الى السواد وقد وصف الحذاق منهم لمن كل بصره الاطلاع
في اجانة خضراء مملوة ماء فانظر كيف جعل الله جل
وتعالى اديم السماء بهذا اللون الاخضر الى السواد
ليمسك الابصار المنقلبة عليه فلا ينكاء فيها
بطول مباشرتها له فصار هذا الذي ادركه الناس
بالفكر والروية والتجارب يوجد مفروغا منه
في الخلقة حكمة بالغة ليعتبر بها المعتبرون ويفكر
فيها الملحدون قاتلهم الله انى يؤفكون فكر يا مفضل

فى طلوع

الدولة انقلاب زمان

[illegible]

[illegible]

في طلوع الشمس وغروبها لاقامة دولتي النهار والليل
فلولا طلوعها لبطل امر العالم كله فلم يكن الناس
يسعون في معايشهم ويتصرفون في امورهم و
الدنيا مظلمة عليهم ولم يكونوا يتهنون بالعيش
مع فقدهم لذة النور وروحه والارب في
طلوعها ظاهر مستغن لظهوره عن الاطناب
في ذكره والزيادة في شرحه بل تامل المنفعة في
غروبها فلولا غروبها لم يكن للناس هدؤ ولا قرار
مع عظم حاجتهم الى الهدوء والراحة لسكون
ابدانهم وجموم حواسهم وانبعاث القوة الهاضمة
لهضم الطعام وتنفيذ الغذاء الى الاعضاء ثم
كان الحرص يستحملهم من مداومة العمل ومطاولته
على ما يعظم نكايته في ابدانهم فان كثيرا من الناس
لولا جثوم هذا الليل لظلمته عليهم لم يكن لهم هدؤ
ولا قرار حرصا على الكسب والجمع والادخار
ثم كانت الارض تستحمى بدوام الشمس بضيائها
ويحمى كل ما عليها من حيوان ونبات فقدرها الله

بحكمته وتدبيره تطلع وقتا وتغرب وقتا بمنزلة
سراج يرفع لأهل البيت تارة ليقضوا حوائجهم
ثم يغيب عنهم مثل ذلك ليهدأوا ويقروا فصار
النور والظلمة مع تضادهما منقادين متظاهرين
على ما فيه من صلاح العالم وقوامه ثم فكر بعد
هذا في ارتفاع الشمس وانحطاطها لإقامة هذه
الأزمنة الأربعة من السنة وما في ذلك من التدبير
والمصلحة ففي الشتاء تعود الحرارة في الشجر والنبات
فيتولد فيها مواد الثمار ويستكثف الهواء فينشو
منه السحاب والمطر وتشتد أبدان الحيوان وتقوى
وفي الربيع تتحرك وتظهر المواد المتولدة في الشتاء
فيطلع النبات وتنور الأشجار ويهيج الحيوان
للسفاد وفي الصيف يحتدم الهواء فتنضج
الثمار وتتحلل فضول الأبدان ويجف وجه
الأرض فتتهيأ للبناء والأعمال وفي الخريف
يصفو الهواء وترتفع الأمراض وتصح الأبدان
ويمتد الليل فيمكن فيه بعض الأعمال لطوله ويطيب

الهواء

الهواء فيه إلى مصالح أخرى لو تقصيت لذكرها
لطال فيها الكلام فكر الآن في تنقل
الشمس في البروج الاثنى عشر لإقامة دور
السنة وما في ذلك من التدبير فهو الدور
الذي تصح به الأزمنة الأربعة من السنة الشتاء
والربيع والصيف والخريف وتستوفيها على التمام
وفي هذا المقدار من دوران الشمس تدرك الغلات
والثمار وتنتهي إلى غاياتها ثم تعود فتستأنف
النشو والنمو ألا ترى أن السنة مقدار مسير الشمس
من الحمل إلى الحمل فبالسنة وأخواتها يكال الزمان
من لدن خلق الله تعالى العالم إلى كل وقت وعصر
من غابر الأيام وبها يحسب الناس الأعمار والأوقات
الموقتة للديون والإجارات والمعاملات وغير
ذلك من أمورهم وبمسير الشمس تكمل السنة و
يقوم حساب الزمان على الصحة انظر إلى
شروقها على العالم كيف دبر أن يكون فإنها
لو كانت تبزغ في موضع من السماء فتقف

لا تعدوه لما وصل شعاعها ومنفعتها الى كثير
من الجهات لان الجبال والجدران كانت تحجبها
عنها فجعلت تطلع فى اول النهار من المشرق فتشرق
على ما قابلها من وجه المغرب ثم لا تزال تدور
وتغشى جهة بعد جهة حتى تنتهى الى المغرب فتشرق
على ما استتر عنها فى اول النهار فلا يبقى موضع
من المواضع الا اخذ بقسطه من المنفعة منها و
الارب التى قدرت له ولو تخلفت مقدار
عام او بعض عام كيف كان يكون حالهم بل كيف
كان يكون لهم مع ذلك بقاء افلا يرى كيف
الناس هذه الامور الجليلة التى لم تكن عندهم
فيها حيلة فصارت تجرى على مجاريها لا تفتل ولا
تتخلف عن مواقيتها لصلاح العالم وما فيه بقاؤه
واستدل بالقمر ففيه دلالة جليلة تستعملها
العامة فى معرفة الشهور ولا يقوم عليه
حساب السنة لان دوره لا يستوفى الازمنة
الاربعة ونشوء الثمار وتصرمها ولذلك

صارت

ولذلك صارت القمر وسنوه تتخلف عن شهور الشمس
وسنيها وصارت الشهر من شهر القمر ينتقل فيكون
مرة بالشتاء ومرة بالصيف فكر فى انارته فى ظلمة
الليل والارب فى ذلك فانه مع الحاجة الى الظلمة
لهدء الحيوان وبرد الهواء على النبات لم يكن صلاح
فى ان يكون الليل ظلمة داجية لا ضياء فيها فلا يمكن
فيه شئ من العمل لانه ربما احتاج الناس الى العمل
بالليل لضيق الوقت عليهم فى بعض الاعمال فى
النهار او لشدة الحر وافراطه فيعمل فى ضوء
القمر اعمالا شتى كحرث الارض وضرب اللبن
وقطع الخشب وما اشبه ذلك فجعل ضوء القمر
معونة للناس على معايشهم اذا احتاجوا الى
ذلك وانسا للسايرين وجعل طلوعه فى بعض
الليل دون بعض ونقص مع ذلك من نور الشمس
وضيائها لكيلا تنبسط الناس فى العمل انبساطهم
بالنهار ويمتنعوا من الهدء والقرار فيهلكهم
ذلك وفى تصرف القمر خاصة فى مهله ومحاقه

وزيادته ونقصانه وكسوفه من التنبيه على قدرة
الله خالقه المصرف له هذا التصريف لصلاح العالم
ما يعتبر به المعتبرون فكر يا مفضل في النجوم واختلاف
مسيرها فبعضها لا تفارق مراكزها من الفلك ولا يسير
الا مجتمعة وبعضها مطلقة تنتقل في البروج وتفترق
في مسيرها فكل واحد منها يسير سيرين مختلفين احدهما
عام مع الفلك نحو المغرب والآخر خاص لنفسه نحو
المشرق كالنملة التي تدور على الرحى فالرحى تدور
ذات اليمين والنملة تدور ذات الشمال والنملة تتحرك
في تلك تتحرك حركتين مختلفتين احديهما بنفسها
فتتوجه امامها والاخرى مستكرهة مع الرحى تجذبها
الى خلفها فاسأل الزاعمين ان النجوم صارت على
ما هي عليه بالاهمال من غير عمد ولا صانع لها ما
منعها ان تكون كلها راتبة او تكون كلها منتقلة
فان الاهمال معنى واحد فكيف صار يأتي
بحركتين مختلفتين على وزن وتقدير ففي
هذا بيان ان سير الفريقين على ما يسيران عليه

بعمد

بعمد وتدبير وحكمة وتقدير ليس باهمال كما تزعم
المعطلة فان قال قائل ولم صار بعض النجوم راتبا
وبعضها منتقلا قلنا انها لو كانت كلها راتبة
لبطلت الدلالات التي يستدل من تنقل المنتقلة
ومسيرها في كل برج من البروج كما قد يستدل
على اشياء مما يحدث في العالم بتنقل الشمس
والنجوم في منازلها ولو كانت كلها منتقلة
لم يكن لمسيرها منازل يعرف ولا رسم يوقف
عليه لانه انما يوقف بمسير المنتقلة منها بتنقلها
في البروج الراتبة كما يستدل على سير السائر
على الارض بالمنازل التي يجتاز عليها
ولو كان تنقلها بحال واحدة لاختلط نظامها
وبطلت المآرب فيها ولساغ القائل ان يقول
ان كينونتها على حال واحدة توجب عليها
الاهمال من الجهة التي وصفنا ففي اختلاف
سيرها وتصرفها وما في ذلك من المآرب
والمصلحة ابين دليل على العمد والتدبير فيها

فكر فی هذه النجوم التی تظهر فی بعض السنة وتحتجب
فی بعضها کمثل الثریا والجوزاء والشعریین وسهیل
فانها لو کانت باسرها تظهر فی وقت واحد لم تکن
لواحد فیها علی حیاله دلالات یعرفها الناس
ویهتدون بها لبعض امورهم کمعرفتهم الان بما
یکون من طلوع الثور والجوزاء اذا طلعت و
احتجابها اذا احتجبت فصار ظهور کل واحد
واحتجابه فی وقت غیر الوقت الاخر لینتفع الناس
بما یدل علیه کل واحد منها علی حدته وکما جعلت
الثریا واشباهها تظهر حینا وتحجب حینا لضرب
من المصلحة کذلک جعلت بنات النعش ظاهرة
لا تغیب لضرب اخر من المصلحة فانها بمنزلة
الاعلام التی تهتدی بها الناس فی البر و
البحر للطرق المجهولة وذلک انها لا تغیب
ولا تتواری فهم ینظرون الیها متی ارادوا
ان یهتدوا بها الی حیث شاءوا وصار الامران
جمیعا علی اختلافهما موجهین نحو الارب

والمصلحة

والمصلحة فیهما مارب اخری علامات ودلالات علی
اوقات کثیرة من الاعمال کالزراعة والغراس والسفر
فی البر والبحر واشیاء مما یحدث فی الازمنة من الامطار
والریاح والحر والبرد وبها یهتدی السائرون
فی ظلمة اللیل لقطع القفار الموحشة واللجج الهائلة
مع ما فی ترددها فی کبد السماء مقبلة ومدبرة
ومشرقة ومغربة فانها تسیر اسرع السیر واحثه
ارایت لو کانت الشمس والقمر والنجوم بالقرب منا
حتی یتبین لنا سرعة سیرها بکنه ما هی علیه الم تکن
ستخطف الابصار بوهجها وشعاعها کالذی
یحدث احیانا من البروق اذا توالت واضطرمت
فی الجو وکذلک ایضا لو ان اناسا کانوا فی قبة مکللة
بمصابیح تدور حولهم دورانا حثیثا
لحارت ابصارهم حتی یخروا لوجوههم
فانظر کیف قدر ان یکون مسیرها فی البعد
البعید لکیلا تضر فی الابصار وتنکاء
فیها باسرع السرعة لکیلا تتخلف عن مقدار

صرم کفزع وارشته جوعه او حرة
دصرقها او قدتها فاضطرمت و

الحاجة فى سيرها وجعل فيها جزء يسير من الضوء ليدل
سد الاضواء اذ لم يكن بد ويمكن فيه الحركة اذا حدثت
ضرورة كما قد يحدث الحادث على المرء فيحتاج الى التجافى
فى جوف الليل فان لم يكن شىء من الضوء يهتدى
به لم يستطع ان يبرح مكانه فتامل اللطف والحكمة فى
هذا التقدير حين جعل الظلمة دولة ومدة لحاجة
اليها وجعل خلالها شىء من الضوء للمارب التى و
صفنا فكر فى هذا الفلك بشمسه وقمره ونجومه
وبروجه تدور على العالم هذا الدوران الدائم بهذا
التقدير والوزن لما فى اختلاف الليل والنهار
وهذه الازمان الاربعة من التنبيه على الارض وما
عليها من اصناف الحيوان والنبات من ضروب المصلحة
كالذى بينت وشخصت لك آنفا وهل يخفى على
ذى لب ان هذا تقدير مقدر وصواب وحكمة من
مقدر حكيم فان قال قائل ان هذا شىء اتفق بان
يكون هكذا فما منعه ان يقول مثل هذا فى دولاب
تراه يدور ويسقى حديقة فيها شجر ونبات فيرى

ط٣/

كل شىء من آلته مقدرا بعضه يلقى بعضا على ما فيه
صلاح تلك الحديقة وما فيها وبم كان يثبت هذا
القول لو قاله وما ترى الناس كانوا قائلين
له لو سمعوه منه افينكر ان يقول فى دولاب خسيس
مصنوع بحيلة قصيرة لمصلحة قطعة من الارض انه
كان بلا صانع ومقدر ويقدر ان يقول فى
هذا الدولاب الاعظم المخلوق بحكمة يقصر عنها
اذهان البشر لصلاح جميع الارض وما عليها
انه شىء اتفق ان يكون بلا صنعة ولا تقدير
لو اعتل هذا الفلك كما تعتل الالات التى تتخذ
للصناعات وغيرها اى شىء كان عند الناس
من الحيلة فى اصلاحه فكر يا مفضل فى مقادير
النهار والليل كيف وقعت على ما فيه صلاح
هذا الخلق فصار منتهى كل واحد منهما اذا
امتد الى خمس عشرة ساعة لا يجاوز ذلك افرايت
لو كان النهار يكون مقداره مائة ساعة او

البوار الهلاك

او ما في ساعة لم يكن في ذلك بوار لكل ما في الارض
من حيوان ونبات اما الحيوان فكان لا يهدأ ولا يقر
طول هذه المدة ولا البهائم كانت تمسك عن الرعي
لو دام لها ضوء النهار ولا الانسان كان يفتر عن
العمل والحركة وكان ذلك سيهلكها اجمع ويؤديها
الى التلف واما النبات فكان يطول عليه حر النهار
ووهج الشمس حتى يجف ويحترق وكذلك الليل
لو امتد مقدار هذه المدة كان يعوق اصناف
الحيوان عن الحركة والتصرف في طلب المعاش
حتى يموت جوعا وتخمد الحرارة الطبيعية من النبات
حتى يعفن ويفسد كالذي تراه يحدث على
النبات اذا كان في موضع لا تطلع عليه الشمس
اعتبر بهذا الحر والبرد وكيف يتعاوران العالم
ويتصرفان هذا التصرف من الزيادة والنقصان
والاعتدال لاقامة هذه الازمنة الاربعة
من السنة وما فيهما من المصالح ثم هما بعد دباغ

الابدان

الابدان التي عليها بقاؤها وفيها صلاحها فانه لولا الحر
والبرد وتداولهما الابدان لفسدت واخوت وانتكثت
فكر في دخول احدهما على الاخرى بهذا التدريج
والترسل فانك ترى احدهما ينقص شيئا بعد شيء
والاخر يزيد مثل ذلك حتى ينتهي كل واحد منهما
منتهاه في الزيادة والنقصان ولو كان دخول احدهما
على الاخرى مفاجاة لاضر ذلك بالابدان واسقمها كما ان
احدكم لو خرج من حمام حار الى موضع البرودة لضره
ذلك واسقم بدنه فلم جعل الله عز وجل هذا الترسل
في الحر والبرد الا للسلامة من ضرر المفاجاة لولا التدبير
في ذلك فان زعم زاعم ان هذا الترسل في دخول
الحر والبرد انما يكون لابطاء يكون في سير الشمس في
الارتفاع والانحطاط سئل عن العلة في ابطاء
سير الشمس في ارتفاعها وانحطاطها فان اعتل
في الابطاء ببعد ما بين المشرقين سئل عن العلة
في ذلك فلا تزال هذه المسئلة ترقى معه الى حيث
رقي هذا القول حتى استقر على العمد والتدبير

لولا الحر لما كانت الثمار الجاسية المرة تنضج فتلين
وتعذب حتى يتفكه بها رطبة ويابسة ولولا البرد
لما كان الزرع يفرخ هكذا ويريع الريع الكثير الذي
يتسع للقوت وما يرد في الأرض للبذر افلا ترى
ما في الحر والبرد من عظيم الغناء والمنفعة وكلاهما
مع غنائه والمنفعة فيه يولم الأبدان ويمضها وفي
ذلك عبرة لمن فكر ودلالة على انه من تدبير الحكيم
في مصلحة العالم وما فيه انبهك يا مفضل على الريح
وما فيها الست ترى ركودها اذا ركدت كيف
يحدث الكرب الذي يكاد ان يأتي على النفوس ويحرض
الأصحاء وينهك المرضى ويفسد الثمار ويعفن
البقول ويعقب الوباء في الأبدان والآفة في
الغلات ففي هذا بيان ان هبوب الريح من
تدبير الحكيم في صلاح الخلق وانبئك عن خلة
اخرى فان الصوت اثر يؤثره اصطكاك الأجسام
في الهواء والهواء يؤديه الى المسامع والناس
يتكلمون في حوائجهم ومعاملاتهم طول نهارهم

وبعض

١١٣

وبعض ليلهم فلو كان اثر هذا الكلام يبقى في الهواء
كما يبقى الكتاب في القرطاس لامتلأ العالم منه
فكان يكربهم ويفدحهم وكانوا يحتاجون في تجديده
والاستبدال به الى اكثر مما يحتاج اليه في تجديد
القرطاس لان ما يلقى من الكلام اكثر مما يكتب
فجعل الخلاق الحكيم جل قدسه هذا الهواء قرطاسا
خفيا يحمل الكلام ريث ما يبلغ العالم حاجتهم
ثم يمحى فيعود جديدا نقيا ويحمل ما حمل ابدا بلا ا
نقطاع وحسبك بهذا النسيم المسمى هواء عبرة وما
فيه من المصالح فانه حياة هذه الأبدان والممسك
لها من داخل بما تستنشق منه ومن خارج بما
تباشر من روحه وفيه تطرد هذه الأصوات فيؤدي
بها من البعد وهو الحامل لهذه الأراييح
ينقلها من موضع الى موضع الا ترى كيف تأتيك
الرائحة من حيث تهب الريح فكذلك الصوت
وهو القابل لهذا الحر والبرد اللذين يعتقبان
على العالم لصلاحه ومنه هذه الريح الهابة فالريح



ترّوح عن الأجسام وتزجي السحاب من موضع
الى موضع ليعمّ نفعه حتى يستكثف فيمطر وتفضه
حتى يستخف فيتفشى وتلقح الشجر وتسير السفن
وترخي الأطعمة وتبرد الماء وتشب النار وتجفف
الأشياء الندية وبالجملة انها تحيي كل ما في الارض
فلولا الريح لذوى النبات ومات الحيوان
وحمت الأشياء وفسدت فكر فيما خلق الله
عز وجل عليه هذه الجواهر الاربعة ليتسع مما
يحتاج اليه منها فمن ذلك سعة هذه الأرض
وامتدادها فلولا ذلك كيف كانت تتسع لمساكن
الناس ومزارعهم ومراعيهم ومنابت اخشابهم
واحطابهم والعقاقير العظيمة والمعادن
الجسيمة غناؤها ولعل من ينكر هذه الفلوات
الخاوية والقفار الموحشة فيقول ما المنفعة
فيها بعد مكان متنفس ومضطرب للناس
اذا احتاجوا الى الاستبدال باوطانهم فكم
بيداء وكم فدفد حالت قصوراً وجناناً

الفدفد الفلاة والمكان الغليظ والمرتفع والارض المستوية

١١٤

بانتقال الناس اليها وحلولهم فيها ولولا سعة
الأرض وفسحتها لكان الناس كمن هو في حصار
ضيق لا يجد مندوحة عن وطنه اذا حزبه
امر يضطره الى الانتقال عنه ثم فكر في خلق هذه
الأرض على ما هي عليه حين خلقت راتبة راكنة
فيكون موطناً مستقراً للاشياء فيتمكن الناس
من السعي عليها في مآربهم والجلوس عليها
لراحتهم والنوم لهدوئهم والاتقان لاعمالهم
فانها لو كانت رجراجة متكفئة لم يكونوا
يستطيعون ان يتقنوا البناء والتجارة و
الصناعة وما اشبه ذلك بل كانوا لا يتهنون
بالعيش والأرض ترتج من تحتهم واعتبر
ذلك بما يصيب الناس حين الزلازل على
قلة مكثها حتى يصيروا الى ترك منازلهم
والهرب عنها فان قال قائل فلم صارت
هذه الأرض تزلزل قيل له ان الزلزلة وما

اشبهها من عظيم او ترهيب يرهب بها الناس
ليرتدعوا وينزعوا عن المعاصي وكذلك ما
ينزل بهم من البلاء في ابدانهم واموالهم
يجري في التدبير على ما فيه صلاحهم واستقا
متهم ويدخر لهم ان صلحوا من الثواب
والعوض في الآخرة ما لا يعدله شي من
امور الدنيا وربما عجل ذلك في الدنيا
اذا كان في الدنيا اصلاحا للعامة والخاصة
ثم ان الارض في طباعها الذي طبعها الله
عليه باردة يابسة وكذلك الحجارة وانما
الفرق بينها وبين الحجارة فضل يبس في الحجارة
افرايت لو ان اليبس افرط على الارض قليلا
حتى تكون حجرا صلدا اكانت تنبت هذا النبات
الذي به حيوة الحيوان وكان يمكن بها حرث
او بناوهما افلا ترى كيف تنقضب من
يبس الحجرة وجعلت على ما هي عليه

الصلد رأيت

نقضب صفه رخصه منه

115

من اللين والرخاوة وليتهيأ للاعتماد ومن
تدبير الحكيم جل وعلا في خلقة الارض ان مهب
الشمال ارفع من مهب الجنوب فلم جعل الله
عز وجل كذلك الا لتنحدر المياه على وجه الارض
فتسقيها وترويها ثم تفيض آخر ذلك الى البحر
فكانما يرفع احد جانبي السطح ويخفض
الآخر لينحدر الماء عنه ولا يقوم عليه كذلك جعل
مهب الشمال ارفع من مهب الجنوب لهذه
العلة بعينها ولولا ذلك لبقي الماء متحيرا على
وجه الارض فكان يمنع الناس من اعمالها
ويقطع الطرق والمسالك ثم الماء لولا كثرته
وتدفقه في العيون والاودية والانهار
لضاق عما يحتاج الناس اليه لشربهم وشرب
ما يرده من الوحوش والطير والسباع و
تتقلب فيه الحيتان ودواب الماء وفيه
منافع اخر انت بها عارف وعن عظم

موقعها غافل فانه سوى الامر الجليل المعروف

من غنائه في احياء جميع ما على الارض من

الحيوان والنبات بمزج الاشربة فتلين و

تطيب لشاربها وبه تنظف الابدان والامتعة

من الدرن الذي يغشاها وبه يبل التراب

فيصلح للاعمال وبه يكف عادية النار

اذا اضطرمت واشرف الناس على المكروه وبه

يسيغ الغصان ما غص به فينجو من الموت

وبه يستحم المتعب الكال فيجد الراحة من

اوصابه الى اشباه هذه المآرب التي تعرف [illegible]

عظم موقعها في وقت الحاجة اليها فان

شككت في منفعة هذا الماء الكثير المتراكم

في البحار وقلت ما المارب فيه فاعلم

انه مكتنف ومضطرب ما لا يحصى من

اصناف السمك ودواب البحر ومعدن

اللؤلؤ والياقوت والعنبر واصناف

شتى تستخرج من البحر وفي سواحله منابت العود

اليلنجوج وضروب من الطيب والعقاقير ثم

هو بعد مركب الناس ومحمل لهذه التجارات

التي تجلب من البلدان البعيدة كمثل ما يجلب

من الصين الى العراق ومن العراق الى

العراق فان هذه التجارات لو لم يكن لها

محمل الا على الظهر لبارت وبقيت في بلدانها وايدي

اهلها لان اجر حملها كان يجاوز اثمانها فلا يتعرض

احد لحملها وكان يجتمع في ذلك امران

احدهما فقد اشياء كثيرة تعظم الحاجة

اليها والآخر انقطاع معايش من يحملها

ويتعيش بفضلها وهكذا الهواء لولا

كثرته وسعته لاختنق هذا الانام من

الدخان والبخار التي يتحير فيه ويعجز

عما يحول الى السحاب والضباب اولا

[illegible]

وقد تقدم من صفته ما فيه كفاية والنار ايضا
كذلك فانها لولا كانت مبثوثة كالنسيم والماء
كانت تحرق العالم وما فيه ولم يكن بد من
ظهورها في الاحايين لغنائها في كثير من
المصالح فجعلت كالمخزونة في الاجسام
تلتمس عند الحاجة اليها وتمسك بالمادة
والحطب ما احتيج الى بقائها لئلا تخبو
فلا هي تظهر مبثوثة فتحرق كلما هي فيه بل
هي على هيئة وتقدير اجتمع فيها الاستمتاع
بمنافعها والسلامة من ضررها ثم فيها خلة
اخرى وهي انها مما خص به الانسان
دون جميع الحيوان لما له فيها من المصلحة
فانه لو فقد النار لعظم ما يدخل عليه
من الضرر في معاشه فاما البهائم فلا
تستعمل النار ولا تستمتع بها لما قدر الله

لذ حمد

عز وجل ان يكون هذا هكذا خلق للانسان كفا
واصابع مهياة لقدح النار واستعمالها ولم
يعط البهائم مثل ذلك لكنها اعينت بالصبر
على الجفاء والخلل في المعاش لكيلا ينالها
في فقد النار ما ينال الانسان وانبئك من
منافع النار على خلقة الصغيرة عظم موقعها
وهي هذه المصباح الذي يتخذه الناس فيقضون
به حوائجهم ما شاؤوا من ليلهم ولولا هذه
الخلة لكان الناس تصرف اعمارهم بمنزلة
من في القبور فمن كان يستطيع ان يكتب
او يحفظ او ينسج في ظلمة الليل وكيف كانت
حال من عرض له وجع في وقت من اوقات
الليل فاحتاج ان يعالج ضمادا او سفوفا
او شيئا يستشفي به فاما منافعها في نضج
الاطعمة ودفاء الابدان وتجفيف اشياء
وتحليل اشياء واشباه ذلك فاكثر من

(سففت الدواء اخذته)

(الدفاء نقيض حدة البرد)

ان يحصى واظهر من ان يخفى فكر يا مفضل في الصحو
والمطر كيف يعتقبان على هذا العالم لما فيه
صلاحه ولو دام واحد منهما عليه
كان في ذلك فساده الا ترى ان الامطار
اذا توالت عفنت البقول والخضر واسترخت
ابدان الحيوان وخصر الهواء فاحدث
ضروبا من الامراض وفسدت الطرق
والمسالك وان الصحو اذا دام جفت
الارض واحترق النبات وغيض ماء
العيون والاودية فاضر ذلك بالناس
وغلب اليبس على الهواء فاحدث ضروبا
اخرى من الامراض فاذا تعاقبا على العالم
هذا التعاقب اعتدل الهواء ودفع كل
واحد منهما عادية الاخر فصلحت الاشيا
واستقامت فان قال قائل ولم لا يكون
في شيء من ذلك مضرة البتة قيل له

ليمض

ليمض ذلك للانسان ويولمه بعض الالم فيرعوى
عن المعاصي فكما ان الانسان اذا سقم بدنه
احتاج الى الادوية المرة البشعة ليقوم
طباعه ويصلح ما فسد منه كذلك اذا طغى
واشر احتاج الى ما يعضه ويولمه لان يرعوى
ويقصر عن مساويه ويثبته على ما فيه حظه
ورشده ولو ان ملكا من الملوك قسم في
اهل مملكته قناطير من ذهب وفضة الم
يكن سيعظم عندهم ويذهب له به الصوت
فاين هذا من مطرة رواء او يعمر به البلاد
ويزيد في الغلات اكثر من قناطير الذهب
والفضة في اقاليم الارض كلها الا ترى
المطرة الواحدة ما اكبر قدرها واعظم
النعمة على الناس فيها وهم عنها ساهون غافلون
وربما عاقت عن احدهم حاجة لا قدر
لها فيذمره ويسخط ايثارا للخسيس قدره على
العظيم نفعه جهلا بمحمود العاقبة وقلة

١١٨

معرفة لعظيم الغناء والمنفعة فيها تامل
نزوله على الارض والتدبير في ذلك فانه
جعل ينحدر عليها من علو ليتغشى ما غلظ
وارتفع منها فيرويه ولو كان انما ياتيها
من بعض نواحيها لما علا على المواضع المشرفة
منها ويقل ما يزرع في الارض الا ترى
ان الذي يزرع هذه البراري الواسعة
وسفوح الجبال وذراها فتغل الغلة
الكثيرة وربما يسقط عن الناس في كثير من البلدان
مؤنة سياق الماء من موضع الى موضع
وما يجري في ذلك بينهم من التشاجر والتظالم
حتى يستاثر بالماء ذو العزة والقوة
ويحرمه الضعفاء ثم انه حين قدر ان
ينحدر على الارض انحدارا جعل ذلك
قطرا شبيها بالرش ليغور في قعر الارض
فيرويها ولو كان يسكبها انسكابا كان
ينزل على وجه الارض فلا يغور فيها ثم

كان

سح الماء بالرش على وجه الارض

نزل الماء فاتصل الرحبة فاتصبت [illegible]

117

ثم كان يحطم الزرع القائمة اذا اندفق عليها
ينزل نزولا رفيقا فينبت الحب المزروع و
يحيي الارض والزرع القائم وفي نزوله ايضا
مصالح اخرى فانه يلين الابدان ويجلو كدر
الهواء فيرتفع الوبا الحادث من ذلك ويغسل
ما يسقط على الشجر والزرع من الداء المسمى
اليرقان الى اشباه هذا من المنافع فان قال قائل
اوليس قد يكون منه في بعض السنين الضرر العظيم
الكثير لشدة ما يقع منه او برد يكون فيه تحطم
الغلات وبخوره يحدثها في الهواء فيولد
كثيرا من الامراض في الابدان والافات في
الغلات قيل بلى قد يكون ذلك الفرط لما فيه
من صلاح الانسان وكفه عن ركوب
المعاصي والتمادي فيها فيكون المنفعة
فيما يصلح له من دينه ارجح مما عسى ان يرزا
في ماله انظر يا مفضل الى هذه الجبال
المركومة من الطين والحجارة التي تحسبها

[illegible]

الغافلون فضلاً لا حاجة اليها والمنافع فيها
كثيرة فمن ذلك ان يسقط عليها الثلوج فيبقى
فى قلالها لمن يحتاج اليه ويذوب ما ذاب منه
فيجرى منه العيون الغزيرة التى يجتمع منه
الانهار العظام وينبت فيها ضروب من
النبات والعقاقير التى لا ينبت مثلها فى السهل
ويكون فيها كهوف ومعاقل للوحوش من السباع
العادية ويتخذ منها الحصون والقلاع المنيعة
للتحرز من الاعداء وينحت من الحجارة للبناء
والارحاء ويوجد فيها معادن لضروب من
الجواهر وفيها خلال اخرى لا يعرفها الا المقدر
لها فى سابق علمه فكر يا مفضل فى هذه المعادن
وما يخرج منها من الجواهر المختلفة مثل ا
لجص والكلس والجبس والزرنيخ والمرتك
والقونيا والزيبق والنحاس والرصاص
والفضة والذهب والزبرجد والياقوت
والزمرد وضروب الحجارة وكذلك ما يخرج
منها

منها القار والموميا والكبريت والنفط وغير
ذلك مما يستعمله الناس فى مآربهم فهل يخفى
على ذى عقل ان هذه كلها ذخائر ذخرت للانسان
فى هذه الارض ليستخرجها فيستعملها عند الحاجة
اليها ثم قصرت حيلة الناس عما حاولوا من صنعتها
على حرصهم واجتهادهم فى ذلك فانهم لو ظفروا
بما حاولوا من هذا العلم كان لا محالة سيظهر و
يستفيض فى العالم حتى تكثر الفضة والذهب
ويسقطا عند الناس فلا يكون لها قيمة ويبطل
الانتفاع بهما فى الشرى والبيع والمعاملات
ولا كان يجبى السلطان الاموال ولا يدخرهما
احد للاعقاب وقد اعطى الناس مع هذا
صنعة الشبه من النحاس والزجاج من الرمل
والفضة من الرصاص والذهب من الفضة
واشباه ذلك مما لا مضرة فيه فانظر كيف
اعطوا ارادتهم فيما لا ضرر فيه ومنعوا ذلك

الشبه النحاس الاصفر

وزبرجد

فيما كان صنّاع المصر لونالوه ومن اوغل في
المعادن انتهى الى واد عظيم يجري منصلتا
بماء غزير لا يدرك غوره ولا حيلة في عبوره
ومن ورائه امثال الجبال من الفضة تفكر
الان في هذا من تدبير الخالق الحكيم فانه اراد جل
ثناؤه ان يري العباد قدرته وسعة خزائنه
ليعلموا انه لو شاء ان يمنحهم كالجبال من الفضة
لفعل لكن لا صلاح لهم في ذلك لانه ان كان
فيكون فيها كما ذكرنا سقوط هذا الجوهر
عند الناس وقلة انتفاعهم به واعتبر ذلك
بانه قد يظهر الشيء الطريف مما يحدثه الناس
من الاواني والامتعة فما دام عزيزا قليلا
فهو نفيس جليل اخذ الثمن فاذا فشى وكثر
في ايدي الناس سقط عندهم وخست
قيمته ونفاسة الاشياء من عزتها فكر
يا مفضل في هذا النبات وما فيه من ضروب

المآرب فالثمار للغذاء والابتان للعلف والحطب
للوقود والخشب لكل شيء من انواع النجارة وغيرها
واللحاء والورق والاصول والعروق والصموغ
لضروب من المنافع ارايت لو كنا نجد الثمار
التي نغتذي بها مجموعة على وجه الارض ولم
تكن تنبت على هذه الاغصان الحاملة لها كم
كان يدخل علينا من الخلل في معاشنا وان
كان الغذاء موجودا فان المنافع بالخشب
والحطب والابتان وسائر ما عددناه كثيرة
عظيم قدرها جليل موقعها هذا مع ما في
النبات من التلذذ بحسن منظره ونضارته
التي لا يعدلها شيء من مناظر العالم وملاهيه
فكر يا مفضل في هذا الريع الذي جعل
في الزرع فصارت الحبة الواحدة تخلف
مائة حبة واكثر واقل وكان يجوز ان
يكون الحبة تاتي بمثلها فلم صارت تريع

هذا الريع الا ليكون في الغلة متسع لما يرد في
الارض من البذر وما يتقوت الزراع
الى ادراك زرعها المستقبل الا ترى ان
الملك لو اراد عمارة بلد من البلدان كان
السبيل في ذلك ان يعطي اهله ما يبذرونه
في ارضهم وما يقوتهم الى ادراك زرعهم
فانظر كيف تجد هذا المثال قد تقدم في تد
بير الحكيم فصار الزرع يريع هذا الريع
ليفي بما يحتاج اليه للقوت والزراعة
وكذلك الشجر والنبت والنخل يريع الريع
فانك ترى الاصل الواحد حوله من
فراخه امر عظيم فلم كان كذلك الا ليكون فيه
ما يقطعه الناس ويستعملونه في ماربهم
وما يرد فيغرس في الارض ولو كان الاصل
منه يبقى منفردا لا يفرخ ولا يريع لما
امكن ان يقطع منه شيء لعمل ولا

لغرس

لغرس ثم كان ان اصابته افة انقطع اصله
فلم يكن منه خلف تامل نبات هذه الحبوب
من العدس والماش والباقلا وما اشبه ذلك
فانها تخرج في اوعية مثل الخرائط لتصونها
وتحجبها من الافات الى ان تشتد وتستحكم
كما قد يكون المشيمة على الجنين لهذا المعنى بعينه
فاما البر وما اشبهه فانه يخرج مدرجا في
قشور صلاب على روسها امثال الاسنة
من السنبل ليمنع الطير منه ليتوفر على
الزراع فان قال قائل اوليس قد ينال الطير من
البر والحبوب قيل له بلى على هذا قدر الامر
فيها لان الطير خلق من خلق الله وقد جعل
الله تبارك وتعالى فيما تخرج الارض حظا و
لكن حصنت الحبوب بهذه الحجب لئلا
يتمكن الطير منها كل التمكن فيعبث فيها
ويفسد الفساد الفاحش فان الطير لو

صارت الحب بازاء فليس عليه شئ يحول دونه
ولا يكن عليه حتى ينسفه اصلاً فكان يعرض من
ذلك ان يبشم الطير فيموت ويخرج الزارع
عن زرعه صفراً فجعلت عليه هذه الوقايات
لتصونه فينال الطائر منه شيئاً يسيراً يتقوت
به ويبقى اكثره للانسان فانه اولى به اذ كان
هو الذي كدح فيه وشقي به وكان الذي يحتاج
اليه اكثر مما يحتاج اليه الطير تامل الحكمة في
خلق الشجر واصناف النبات فانها لما كانت
تحتاج الى الغذاء الدائم كحاجة الحيوان ولم يكن
لها افواه كافواه الحيوان ولا حركة تنبعث بها
لتناول الغذاء جعلت اصولها مركوزة
في الارض لتنزع منها الغذاء فتؤديه
الى الاغصان وما عليها من الورق والثمر
فصارت الارض كالام المربية لها وصارت
اصولها التي هي كالافواه ملتقمة للارض

نسف الشيء قلعه
البشم تخمة الطعام

لتنزع

١٢٣

لتنزع منها الغذاء كما يرضع اصناف الحيوان
امهاتها الا ترى الى عمد الفساطيط والخيم كيف
تمد بالاطناب من كل جانب لتثبت منتصبة
فلا تسقط وتميل فكذا تجد النبات كله له
عروق منتشرة في الارض ممتدة الى كل جانب
لتمسكه وتقيمه ولولا ذلك كيف كان يثبت
هذا النخل الطوال والدوح العظام في الريح
العاصف فانظر الى حكمة الخلقة كيف
سبقت حكمة الصناعة فصارت الحيلة
التي تستعملها الصناع في ثبات الفساطيط
والخيم الا ترى عمدها وعيدانها من الشجر
فالصناعة ماخوذة من الخلقة تامل
يا مفضل خلق الورق فانك ترى في
الورقة شبه العروق مبثوثة فيها
اجمع فمنها غلاظ ممتدة في طولها و
عرضها ومنها دقاق تتخلل تلك

الفسطاط بالضم السرادق من الابنية
الدوحة شجرة عظيمة جمعه دوح

بعض النسخ

الغلاظ منسوجة نسجًا دقيقًا محكمًا لو كان
مما يصنع بالأيدي كصنعة البشر لما فرغ
من ورق شجرة واحدة في عام كامل لاحتيج
الى الآن وحركة وعلاج وكلام فصار يأتي
منه في ايام قلائل من الوشيج ما يملأ
الجبال والسهول وبقاع الارض كلها
بلا حركة ولا كلام الا بالارادة النافذة
في كل شيء والامر المطاع واعرف مع ذلك
العلة في تلك العروق الدقاق فانها جعلت
تتخلل الورقة باسرها لتسقيها وتوصل
الماء اليها بمنزلة العروق المبثوثة في البدن
لتوصل الغذاء الى كل جزء منه وفي ا
لغلاظ منها معنى آخر فانها تمسك الورقة
بصلابتها ومتانتها لئلا تنهتك و
تتمزق فترى الورقة شبيهة بورقة

معمولة

معمولة بالصنعة من خرق قد جعلت فيها
عيدان ممدودة في طولها وعرضها لتتما
سك فلا تضطرب فالصناعة تحكي
الخلقة وان كانت لا تدركها على
حقيقتها فكر في هذا العجم والنوى والعلة
فيه فانه جعل في جوف الثمرة ليقوم مقام
الغرس ان عاق دون الغرس عائق كالحرز
الشيء النفيس الذي تعظم الحاجة اليه في
مواضع اخر فان حدث على الذي في
بعض المواضع منه حادث وجد في
موضع آخر ثم هو بعد يمسك بصلابته
رخاوة الثمار ورقتها ولولا ذلك
لتشدخت وتفسخت واسرع اليها
الفساد وبعضه يؤكل ويستخرج
دهنه فيستعمل منه ضروب من
المصالح وقد تبين لك موضع الارب

فى العجم والنوى فكر الأن فى هذا الذى تجده
فوق النواة من الرطبة وفوق العجم من
العنبة فما العلة فيه ولماذا يخرج فى
هذه الهيئة وقد كان يمكن ان يكون
مكان ذلك ما ليس فيه مأكل مثل ما
يكون فى الشجر والدلب وما اشبه ذلك
فلم صار يخرج فوقه هذه المطاعم اللذيذة
الا ليستمتع بها الانسان فكر فى ضروب
من التدبير فى الشجر فانك تراه يموت
كل سنة موتة فيحتبس الحرارة الغريزية
فى عوده ويتولد فيه مواد الثمار ثم
يحيا وتنتشر فتاتيك بهذه الفواكه نوعا
بعد نوع كما تقدم اليك انواع الاطبخة فكال
التى تعالج بالايدى واحدا بعد واحد
فترى الاغصان فى الشجر تتلقاك
بثمارها حتى كانها تناولكها عن يد

وترى

125 وترى الرياحين تتلقاك فى افنائها كانها تجيئك
بانفسها فلمن هذا التقدير الا لمقدر حكيم وما
العلة فيه الا تفكه الانسان بهذه الثمار
والانوار والعجب من اناس جعلوا مكان ا
الشكر على النعمة جحود المنعم بها اعتبر بخلق
الرمانة وما ترى فيها من اثر العمد والتدبير
فانك ترى فيها كامثال التلال من شحم
مركوم فى نواحيها وحبا مرصوفا رصفا
كنحو ما ينضد بالايدى وترى الحب مقسوما
اقساما وكل قسم منها ملفوف بلفائف
من حجب منسوجة اعجب النسج والطفه
وقشره يضم ذلك كله فمن التدبير فى هذه
الصنعة انه لم يكن يجوز ان يكون حشو
الرمانة من الحب وحده وذلك ان الحب
لا يمد بعضه بعضا فجعل ذلك الشحم
خلال الحب ليمده بالغذاء الا ترى

ان اصول الحب مركوزة فى ذلك الشحم ثم لف
بتلك اللفايف لتضمه وتمسكه فلا يضطرب
وغشى فوق ذلك بالقشرة المستحصفة لتصونه
وتحصنه من الآفات فهذا قليل من كثير من
وصف الرمانة وفيه اكثر من هذا لمن اراد
الاطناب والتذرع فى الكلام ولكن فيما
ذكرت لك كفاية فى الدلالة والاعتبار
فكر يا مفضل فى حمل اليقطين الضعيف مثل
هذه الثمار الثقيلة من الدباء والقثاء
والبطيخ وما فى ذلك من التدبير والحكمة
فانه حين قدر ان يحمل مثل هذه الثمار جعل
نباته منبسطا على الارض ولو كان ينتصب
قائما كما ينتصب الزرع والشجر لما استطاع
ان يحمل مثل هذه الثمار الثقيلة ولتقصف
قبل ادراكها وانتهائها الى غاياتها فانظر
كيف صار يمتد على وجه الارض ليلقى
عليها

عليها ثماره فتحملها عنه فترى الاصل
من القرع والبطيخ مفترشا للارض
وثماره مبثوثة عليها وحواليه كانه
هرة ممتدة وقد اكتنفتها اجراؤها
لترضع منها وانظر كيف صارت ا
لاصناف توافى الوقت المشاكل لها
من حمارة الصيف ووقدة الحر فتلقاها
النفوس بانشراح وتشوق اليها ولو
كانت توافى الشتاء لوافقت من الناس
كراهة لها واقشعرارا منها مع ما يكون
فيها من المضرة للابدان الا ترى
انه ربما ادرك شىء من الخيار
فى الشتاء فيمتنع الناس من اكله
الا الشره الذى لا يمتنع من اكل
ما يضره ويستوخم مغبته فكر يا مفضل

فى النخل فانه لما صار فيه اناث تحتاج الى
التلقح جعلت فيه ذكورة للقاح من غير
غراس فصار الذكر من النخل بمنزلة
الذكر من الحيوان الذى يلقح الاناث
لتحمل وهو لا يحمل تامل خلقة الجذع
كيف هو فانك تراه كالمنسوج نسجا
من غير خيوط ممدودة كالسدى و
اخرى معه معترضة كاللحمة كنحو ما
ينسج بالايدى وذلك ليشتد ويصلب
ولا ينقصف من حمل القنوان الثقيلة
وهز الرياح العواصف اذا صار
نخلة وليتهيا للسقوف والجسور
وغير ذلك مما يتخذ منه اذا صار
جذعا وكذلك ترى الخشب مثل
النسج فانك ترى بعضه مداخلا

[illegible] السدى [illegible]

بعضها

١٣٧

بعضها طولا وعرضا كتداخل اجزاء اللحم
وفيه مع ذلك متانة ليصلح لما يتخذ منه
من الآلات فانه لو كان مستحصفا كالحجارة
لم يمكن ان يستعمل فى السقوف وغير ذلك
مما يستعمل فيه الخشب كالابواب والاسرة
والتوابيت وما اشبه ذلك ومن جسيم
المصالح فى الخشب انه يطفو على الماء فكل
الناس يعرف هذا منه وليس كلهم يعرف
جلالة الامر فيه فلولا هذه الخلة كيف
كانت هذه السفن والاظراف تحمل ا
لامثال الجبال من الحمولة وانى كان
ينال الناس هذا الرفق وخفة المؤنة
فى حمل التجارات من بلد الى بلد كانت تعظم
المؤنة عليهم فى حملها حتى يلقى كثيرا مما
يحتاج اليه فى بعض البلدان مفقودا اصلا
او عسرا وجوده فكر فى هذه العقاقير وما

وما خص به كل واحد منها من العمل في بعض
الادواء فهذا يغور في المفاصل فيستخرج الفضول
الغليظة مثل الشيطرج وهذا ينزف المرة السوداء
مثل الافتيمون وهذا ينفي الرياح مثل السكبينج وهذا
يحلل الاورام واشباه هذا من افعالها فمن جعل هذه القوى
فيها الا من خلقها للمنفعة ومن فطن الناس لها الا
من جعل هذا فيها ومتى كان يوقف على هذا منها بالا
لعرض والاتفاق كما قال قائلون وهب الانسان
فطن لهذه الاشيا بذهنه ولطيف رويته وتجاربه
فالبهايم كيف فطنت لها حتى صار بعض السباع يتداوى
من جراحه ان اصابته ببعض العقاقير فيبرا وبعض
الطير يحتقن من الحصر يصيبه بماء البحر فيسلم واشباه
هذا كثير ولعلك تشكك في النبات النابت في الصحارى
والبراري حيث لا انس ولا انيس فتظن انه فضل
لا حاجة اليه وليس كذلك بل هو طعم لهذه الوحوش
وحبه علف للطير وعوده وافنانه حطب فيستعمله
الناس وفيه بعد اشياء تعالج بها الابدان و
اخرى تدبغ به الجلود واخرى تصبغ به
الامتعة واشباه هذا من المصالح اعلم ان من اخس
النبات واحقره هذا البردي وما

الحصر بالضم احتقان البطن

وما اشبهها ففيها مع هذا من ضروب المنافع فقد يتخذ
من البردي القراطيس التي يحتاج اليها الملوك والسوقة
والحصر التي يستعملها كل صنف من الناس ويعمل منه
الغلف التي يوقى بها الاواني ويجعل حشوا بين الظروف
في الاسفاط لكيلا تعيب وتنكسر واشباه هذا من المنافع فاعتبر
بما ترى من ضروب المآرب في صغير الخلق وكبيره وبما له
قيمة وما لا قيمة له واخس من هذا واحقره الزبل والعذرة
التي اجتمعت فيها الخساسة والنجاسة معا وموقعها من الزروع
والبقول والخضر اجمع الموقع الذي لا يعدله شيء حتى
ان كل شيء من الخضر لا يصلح ولا يزكو الا بالزبل والسماد
الذي يستقذره الناس ويكرهون الدنو منه واعلم
انه ليس منزلة الشيء على حسب قيمته بل هما قيمتان مختلفتان
لسوقين وربما كان الخسيس في سوق المكتسب نفيسا في سوق
العلم فلا تستصغر العبرة في الشيء لصغر قيمته فلو فطنوا طالبو
الكيميا لما في العذرة لاشتروها بانفس الاثمان وغالوا بها
وحان وقت الزوال فقام مولاي الى الصلاة وقال

بكرة الى غد ان شاء الله ثم فانصرفت وقد تضاعف سروري
بما عرفنيه مبتهجا بما آتانيه حامدا الله ما منحنيه فبت ليلتي
مسرورا قال المفضل فلما كان يوم الرابع بكرت
الى مولاي فاستوذن لي فامرني بالجلوس فجلست فقال ع
منا التحميد والتسبيح والتعظيم والتقديس للاسم الاقدم والنور
الاعظم العلي العلام ذي الجلال والاكرام ومنشي الانام ومفني
العوالم والدهور وصاحب السر المستور والغيب
المحظور والاسم المخزون والعلم المكنون وصلواته وبركاته
على مبلغ وحيه ومؤدي رسالته الذي ابتعثه بشيرا ونذيرا و
داعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ليهلك من هلك عن بينة
ويحيى من حي عن بينة فعليه وعلى آله من بارئه صلوات طيبات
والتحيات الزاكيات ناميات وعليه وعليهم السلام والرحمة والبركات
في الماضين والغابرين ابد الآبدين ودهر الداهرين
وهم اهله ومستحقه قد شرحت لك يا مفضل من الادلة على
الخلق والشواهد على صواب التدبير والعمد في الانسان والحيوان
والنبات والشجر وغير ذلك ما فيه عبرة لمن اعتبر وانا اشرح
لك

لك لان الآفات الحادثة في بعض الازمان التي اتخذها اناس
من الجهال ذريعة الى جحود الخلق والخالق والعمد و
التدبير وما انكرت المعطلة والمنانية من المكاره والمصائب
وما انكروه من الموت والفناء وما قاله اصحاب الطبايع ومن
زعم ان يكون الاشياء بالعرض والاتفاق ليتسع ذلك
القول في الرد عليهم قاتلهم الله انى يؤفكون اتخذ اناس
من الجهال هذه الاوقات الحادثة في بعض الازمان كمثل الوباء
واليرقان والبرد والجراد ذريعة الى جحود الخلق والتدبير
والخالق فيقال في جواب انه لم يكن خالق ومدبر فلم لا
يكون ما هو اكثر من هذه وافظع فمن ذلك ان يسقط
السماء على الارض وتهوي الارض فتذهب سفلا وتتخلف
الشمس من الطلوع اصلا وتجف الانهار والعيون حتى
لا يوجد ماء للشفة وتركد الريح حتى تخم الاشياء و
تفسد وتفيض ماء البحر على الارض فيغرقها ثم هذه الآفات
التي ذكرناها من الوباء والجراد وما اشبه ذلك ما
بالها لا تدوم وتمتد حتى تجتاح كل ما في العالم بل تحدث

فى الأحايين ثم لا تلبث ان ترفع افلا ترى ان العالم يقسان ويحفظ
من تلك الاحداث الجليلة التى لو حلت عليه شى منها كان فيه بواده
ويلدغ احيانا بهذه الأفات اليسيرة التاديب الناس وتقويمهم
ثم لا تدوم هذه الأفات بل تكشف عنهم عند القنوط منهم فتكون
وقوعها بهم موعظة وكشفها عنهم رحمة وقد انكرت المعطلة
ما انكرت المنانية من المكاره والمصائب لتى يقبلنا الناس
فكلاهما يقول ان كان للعالم خالق رؤف رحيم فلم يحدث
فيه هذه الامور المكروهة والقايل بهذا القول يذهب به الى
انه ينبغى ان يكون عيش الانسان فى هذه الدنيا صافيا من كل
كدر ولو كان هكذا كان الانسان سيخرج منه الاشر والعتو
الى ما لا يصلح فى دين ولا دنيا كالذى ترى كثيرا من المترفين
ومن نشأ فى الجدة والامن يخرجون اليه حتى ان احدهم ينسى
انه بشر وانه مربوب او ان ضررا يمسه او ان مكروها ينزل
به او انه يجب عليه ان يرحم ضعيفا او يواسى فقيرا او يرثى لمبتلى
او يتحنن على ضعيف او يواسى فقيرا او يتعطف على مكروب
فاذا اعضته المكاره وجد او يتعطف ومضضها اتقعظ

وابصر

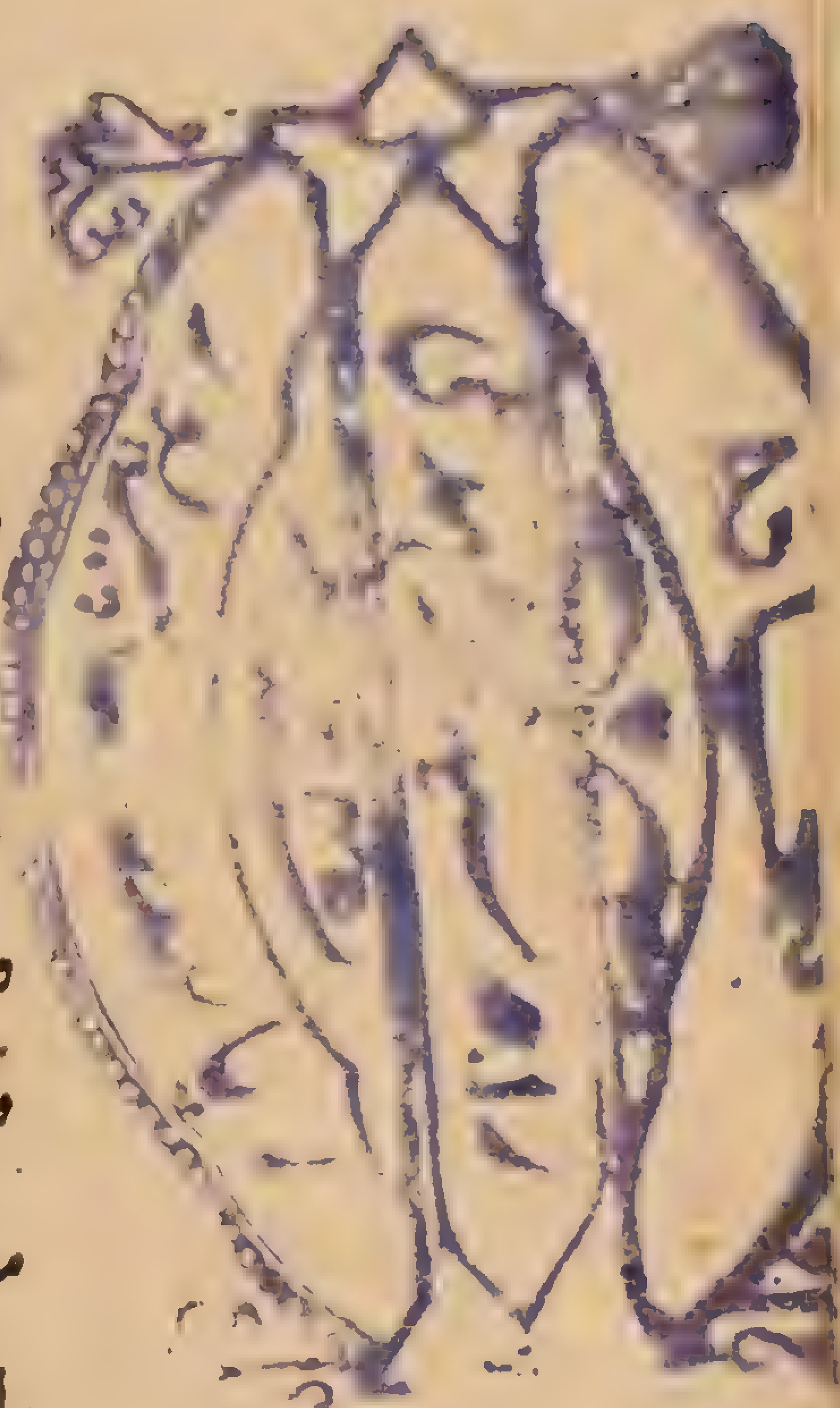
وابصر كثيرا مما كان جهله وغفل عنه ورجع الى كثير مما كان يجب عليه
والمنكرون لهذه الامور المؤذية بمنزلة الصبيان الذين يذمون
الادوية المرة البشعة ويتسخطون من المنع من الاطعمة الضارة و
ويتكرهون الادب والعمل ويحبون ان يتفرغون لللهو والبطالة
وينالوا كل مطعم ومشرب ولا يعرفون ما تؤديهم اليه البطالة من
سوء النشوء والعادة وما تعقبهم الاطعمة اللذيذة الضارة
من الادواء والاسقام وما لهم فى الادب من الصلاح وفى الادوية
من المنفعة وان شاب ذلك بعض الكراهة فان قالوا ولم يكن
الانسان معصوما من المساوى حتى لا يحتاج الى ان يلذعه هذه
المكاره قيل اذا كان يكون غير محمود على حسنة ياتيها ولا مستحق
للثواب عليها فان قالوا وما كان يضره ان لا يكون محمودا على
الحسنات مستحقا للثواب بعد ان يصير الى غاية النعم و
اللذة قيل لهم اعرضوا على امرئ صحيح الجسم والعقل ان
يجلس منعما ويكفى كلما يحتاج اليه بلا سعى ولا استحقاق
فانظر هل تقبل نفسه ذلك بل ستجدونه بالقليل مما يناله
بالسعى والحركة اشد اغتباطا وسرورا منه بالكثير مما

ينال النعيم بالاستحقاق وكان نعيم الآخرة ايضا يكمل لاهله بان ينالوه با
لسعي فيه والاستحقاق له فالنعمة على الانسان في هذا الباب مضاعفة
فان اعدّ له الثواب الجزيل على سعيه في هذه الدنيا وجعل له
السبيل الى ان ينال ذلك بسعي واستحقاق فيكمل له السرور والا
غتباط بما يناله منه فان قالوا اوليس قد يكون من الناس من يركن
الى ما نال من خير وان كان لا يستحقه فما الحجة في منع من رضي ان ينال
نعيم الآخرة على هذه الجملة قيل لهم ان هذا باب لو صحّ لاحد للناس لخرجوا
الى غاية الكلب والضراوة على الفواحش وانتهاك المحارم فمن كان
يكفّ نفسه عن فاحشة او يتحمّل المشقة في باب من ابواب البرّ لو
وثق بانه صائر الى النعيم لا محالة او من كان يامن على نفسه واهله وماله
من الناس لو لم يخافوا الحساب والعقاب فكان ضرر هذا الباب سينال
الناس في هذه الدنيا قبل الآخرة فيكون في ذلك تعطيل العدل
والحكمة معا وموضع للطعن على التدبير بخلاف الصواب ووضع
الامور غير مواضعها وقد يتعلّق هؤلاء بالآفات التي تصيب
الناس فتعمّ البرّ والفاجر او يبتلى بها البرّ ويسلم الفاجر منها
فقالوا كيف يجوز هذا في تدبير الحكيم وما الحجة فيه فيقال لهم
انّ

١٣١
ان هذه الآفات وان كانت تنال الصالح والطالح جميعا فان
الله تعالى جعل ذلك صلاحا للصنفين كليهما اما الصالحون
فان الذي يصيبهم من هذا يذكّرهم نعم ربهم عندهم في سالف
ايامهم فيحدوهم ذلك على الشكر والصبر واما الطالحون فان مثل
هذا اذا نالهم كسر شرّتهم وردعهم عن المعاصي والفواحش
وكذلك يجعل لمن سلم منهم من الصنفين صلاحا في ذلك اما
الابرار فانهم يغتبطون بما هم عليه من البرّ والصلاح و
يزدادون فيه رغبة وبصيرة واما الفجار فانهم يعرفون رافة
ربهم وتطوّله عليهم بالسلامة من غير استحقاق فيحضّهم ذلك
على الرافة بالناس والصفح عمن اساء اليهم ولعل قائلا
يقول ان هذه الآفات التي تصيب الناس في اموالهم فما قولك
فيما يبتلون به في ابدانهم فيكون فيه تلفهم كمثل الحرق والغرق و
السيل والخسف فيقال له ان الله تعالى جعل في هذا ايضا
صلاحا للصنفين جميعا اما الابرار فلما لهم في مفارقة هذه الدنيا
من الراحة من تكاليفها والنجاة من مكارهها واما الفجار فلما
لهم في ذلك من تمحيص اوزارهم وحبسهم من الازدياد منها وجملة

القول ان الخالق تعالى ذكره بحكمته وقدرته قد تصرف هذه الامور
كلها الى الخيرة والمنفعة فكما انه اذا قطعت الريح شجرة او قطعت
نخلة اخذها الصانع الرفيق واستعملها في ضروب من المنافع
فكذلك يفعل المدبر الحكيم في الآفات التي تنزل بالناس في ابدانهم واموالهم
فيصيرها جميعا الى الخيرة والمنفعة فان قال قائل ولم لا يحدث
على الناس قيل لكيلا يركنوا الى المعاصي من طول السلامة فيبالغ
الفاجر في ركوب المعاصي ويفتر الصالح عن الاجتهاد في البر فان
هذين الامرين جميعا يغلبان على الناس في حال الخفض والدعة
وهذه الحوادث التي تحدث عليهم تردعهم وتنبههم على ما فيه رشدهم
فلو خلوا منها لغلوا في الطغيان والمعصية كما غلا الناس في اول
الزمان حتى وجب عليهم البوار بالطوفان وتطهير الارض منهم
ومما ينتقده الجاحدون للعمد والتقدير الموت والفناء
فانهم يذهبون الى انه ينبغي ان يكون الناس مخلدين في هذه الدنيا
مبرئين من الآفات فينبغي ان يساق هذا الامر الى غايته فينظر
ما محصوله افرايت لو كان كل من دخل العالم ويدخله يبقون ولا
يموت احد منهم الم تكن الارض تضيق بهم حتى تعوزهم المساكن

والمزارع



والمزارع والمعاش فانهم والموت يفنيهم اولا اولا يتنافسون
في المساكن والمزارع حتى تنشب بينهم في ذلك الحروب وتسفك
فيهم الدماء فكيف كانت تكون حالهم لو كانوا يولدون ولا يموتون
وكان يغلب عليهم الحرص والشره وقساوة القلوب فلو وثقوا
انهم لا يموتون لما قنع الواحد منهم بشيء يناله ولا افرج لا
حد عن شيء يسأله ولا سلا عن شيء مما يحدث عليه ثم كانوا
يملون الحياة وكل شيء من امور الدنيا كما قد يمل الحياة
من طال عمره حتى يتمنى الموت والراحة من الدنيا فان قالوا انه
كان ينبغي ان يرفع عنهم المكاره والاوصاب حتى لا يتمنوا الموت ولا يشتاقوا
اليه فقد وصفنا ما كان يخرجهم اليه من العتو والاشر الحامل لهم
على ما فيه فساد الدين والدنيا وان قالوا انه كان ينبغي ان لا
يتوالدوا كي لا تضيق عنهم المساكن والمعاش قيل لهم اذا
كان يحرم اكثر هذا الخلق دخول العالم والاستمتاع بنعم الله
ومواهبه في الدارين جميعا اذا لم يدخل العالم الا قرن واحد
لا يتوالدون ولا يتناسلون فان قالوا كان يخلق في ذلك
القرن الواحد من الناس مثل ما خلق ويخلق الى انقضاء العالم



يقالهم رجع الامر الى ما ذكرنا من ضيق المساكن والمعاش عنهم ثم
لو كانوا لا يتوالدون ولا يتناسلون لذهب موضع الأنس بالقرابات
وذوي الارحام والانتصار بهم عند الشدايد وموضع تربية
الاولاد والسرور بهم ففي هذا دليل على ان كلما تذهب اليه الاوهام
سوا ما جرى به التدبير خطا وسفاه من الراى والقول ولعل
طاعنا يطعن على التدبير من جهة اخرى فيقول كيف يكون ههنا تدبير
ونحن نرى الناس في هذه الدنيا من عزيز وذليل فالقوي
يظلم ويغصب والضعيف يظلم ويسام الخسف والصالح
فقير مبتلى والفاسق معافى موسع عليه ومن ركب فاحشة
او انتهك محرما لم يعاجل بالعقوبة فلو كان في العالم تدبير
لجرت الامور على القياس القايم فكان الصالح هو المرزوق
والطالح هو المحروم وكان القوي يمنع عن ظلم الضعيف و
المنتهك للمحارم يعاجل بالعقوبة فيقال في جواب ذالك
ان هذا لو كان هكذا لذهب موضع الاحسان الذي فضل به
الانسان على غيره من الخلق وحمل النفس على البر والعمل الصالح
احتسابا للثواب وثقة بما وعد الله منه ولصار الناس بمنزلة
الدواب

الدواب التي تساس بالعصا والعلف ويلمع لها بكل واحد
منهما ساعة فساعة فتستقيم على ذالك ولم يكن احد يعمل
على يقين بثواب او عقاب حتى كان هذا يخرجهم عن حد
الانسية الى حد البهايم لا يعرفون ما غاب ولا يعملون الا بالحاضر
وكان يحدث من هذا ايضا ان يكون الصالح انما يعمل الصالح
للرزق والسعة في هذه الدنيا ويكون الممتنع من الظلم
والفواحش انما يعف عن ذالك الترقب عقوبة تنزل به
من ساعة حتى يكون افعال الناس كلها تجري على الحاضر
لا يشوبها شي من اليقين بما عند الله ولا يستحقون ثواب
الآخرة والنعيم الدايم فيها مع ان هذه الامور التي ذكرها
الطاعن من الغنى والفقر والعافية والبلا ليست تجاري به
على خلاف قياسه بل قد تجري على ذالك احيانا والامر المفهوم
المفهوم للامر المفهوم فقد نرى كثيرا من الصالحين يرزقون
المال لضروب من التدبير وكيلا يستوي الى قلوب الناس
ان الكفار هم المرزوقون والابرار هم المحرومون فيوثرون
الفسق على الصلاح ونرى كثيرا من الفساق يعاجلون

بالعقوبة اذا تفاقم طغيانهم وعظم ضررهم على الناس وعلى
انفسهم كما عوجل فرعون بالغرق وبخت نصر بالتيه وبلبيس
بالقتل وان امهل بعض الاشرار بالعقوبة واخر بعض الاخيار
بالثواب الى الدار الآخرة لاسباب تخفى على العباد لم يكن
هذا مما يبطل التدبير فان مثل هذا قد يكون من ملوك
الارض ولا يبطل تدبيرهم بل يكون تاخيرهم ما اخروه و
تعجيلهم ما عجلوه داخلا في صواب الرأي والتدبير واذا
كانت الشواهد تشهد وقياسهم يوجب ان للاشياء خالقا
حكيما قادرا فما يمنعه ان يدبر خلقه فانه لا يصح في قياسهم
ان يكون الصانع يهمل صنعته الا باحدى ثلث خلال
اما عجز واما جهل واما شرارة وكل هذه محال في صنعته عز وجل
وتعالى ذكره وذلك ان العاجز لا يستطيع ان ياتي بهذه الخلائق
الجليلة العجيبة والجاهل لا يهتدي لما فيها من الصواب
والحكمة والشرير لا يتطاول لخلقها وانشائها واذا كان
هذه هكذا وجب ان يكون الخالق لهذه الخلائق مدبرا لها
لا محالة وان كان لا يدرك كنه ذلك التدبير ومخارجه

فان

١٣٤

فان كثيرا من تدبير الملوك لا تفهمه العامة ولا تعرف اسبابه
لانها لا تعرف دخلة امر الملوك واسرارهم فاذا عرف سببه
وجد قائما على الصواب والشاهد المحنة ولو شككت في
بعض الادوية والاطعمة فتبين لك من جهتين او ثلثة انه
حار او بارد الم تكن ستقضي عليه بذلك وتنفي الشك فيه
عن نفسك فما بال هؤلاء الجهلة لا يقضون على
العالم بالخالق والتدبير مع هذه الشواهد الكبيرة واكثر منها
ما لا يحصى كثرة لو كان نصف العالم وما فيه مشكلا صوابه لما
كان من حزم الرأي وسمت الادب ان يقضي على العالم بالا
همال لانه كان في النصف الآخر وما يظهر من الصواب و
الاتقان ما يردع الوهم عن التسرع الى هذه القضية فكيف
وكلما فيه اذا فتش وجد على غاية الصواب حتى لا يخطر با
البال شيء الا وجد ما عليه الخلق اصح واصوب منه واعلم
يا مفضل ان اسم هذا العالم باليونانية الجاري المعروف
وعندهم قوسموس وتفسيره الزينة وكذا سمته الفلاسفة
ومن ادعى الحكمة افكانوا يسمونه بهذا الاسم الا لما راوا فيه

التقدير والنظام فلم يرضوا ان يسموه تقديرا ونظاما حتى يسموه
زينة ليجوزوا انه مع ما هو عليه من الصواب والاتقان على غاية
الحسن والبهاء يا مفضل من قوم لا يقضون على صناعة الطب
بالخطاء وهم يرون الطبيب يخطي ويقضون على العالم بالاهمال
ولا يرون شيا منه مهملا بل اعجب من اخلاق من ادعى الحكمة
حتى جهلوا مواضعها في الخلق فارسلوا السنتهم بالذم
للخالق جل وعلا بل العجب من المخذول ماني حين
ادعى علم الاسرار وعمي عن دليل الحكمة في الخلق نسبه الى الخطا
ونسب خالقه الى الجهل تبارك الحكيم الكريم واعجب منهم
جميعا المعطلة الذين راموا ان يدرك بالحس ما لا يدرك
بالعقل فلما اعوزهم ذلك خرجوا الى الجحود والتكذيب فقالوا
ولم لا يدرك بالعقل قيل لانه فوق مرتبة العقل كما لا يدرك
البصر ما هو فوق مرتبته فانك لو رايت حجرا يرتفع في الهوا
علمت ان راميا رمى به فليس هذا العلم من قبل البصر بل
قبل العقل لانه هو الذي يميزه فيعلم ان الحجر لا يذهب علوا
من تلقاء نفسه فلا ترى كيف وقف البصر على حده فلم يتجاوزه

فكذلك

فكذلك يقف العقل على حده من معرفة الخالق فلا يعدوه ولكن
يعقله بعقل القران فيه نفسا ولم يعاينها ولم يدركها بحاسة
من الحواس وعلى حسب هذا ايضا نقول ان العقل يعرف
الخالق من جهة توجب عليه الاقرار ولا يعرفه بما يوجب
له الاحاطة بصفته فان قالوا فكيف يكلف العبد الضعيف
معرفته بالعقل اللطيف ولا يحيط به قيل لهم انما كلف العباد
من ذلك ما في طاقتهم ان يبلغوه وهو ان يوقنوا به ويقفوا
عند امره ونهيه ولم يكلفوا الاحاطة بصفته كما ان الملك لا
يكلف رعيته ان يعلموا اطويل هو ام قصير وابيض هو ام
اسمر وانما يكلفهم الاذعان لسلطانه والانتهاء الى
امره الا ترى ان رجلا لو اتى باب الملك فقال اعرض علي
نفسك حتى اتقصى معرفتك والا لم اسمع لك كان قد احل نفسه
بالعقوبة فكذا القائل انه لا يقر بالخالق سبحانه حتى يحيط
بكنهه متعرض لسخطه فان قالوا اوليس قد نصفه فنقول
هو العزيز الحكيم الجواد الكريم قيل لهم كل هذه صفات اقرار و
ليست صفات احاطة فانا نعلم انه حكيم ولا نعلم بكنه ذلك

منه كل تدبير وجواد وصاير صفاته كما قد ترى السماء ولا ندري

ما جوهرها او ترى البحر ولا ندري اين منتهاه بل فوق هذا لمثال

بما لا نهاية لان الامثال كلها تقصر عنه ولكنها تقود العقل

الى معرفته فان قالوا او لم تختلف فيه قيل لهم لقصر الاوهام عن

مدى عظمته وتعديها اقدارها في طلب معرفته وانها تروم الاحاطة

بها وهي تعجز عن ذالك وما دونه فمن ذالك هذه الشمس التي

تراها تطلع على العالم ولا يوقف على حقيقة امرها ولذالك كثرت

الاقاويل فيها واختلفت الفلاسفة المذكورون في وصفها فقال

بعضهم هو فلك اجوف مملو نارا له فم يجيش بهذا الوهج والشعاع

وقال الآخرون هو سحابة وقال آخرون هو جسم زجاجي يقبل

نارية في العالم ويرسل عليه شعاعها وقال آخرون هو صفو

لطيف ينعقد من ماء البحر وقال آخرون هو اجزاء كثيرة تجمعت

من النار وقال آخرون هو من جوهر خامس سوى الجواهر

الاربع ثم اختلفوا في شكلها فقال بعضهم هي بمنزلة صفيحة

عريضة وقال آخرون هي كالكرة المدحرجة وكذا اختلفوا في

مقدارها فزعم بعضهم انها مثل الارض سواء وقال آخرون بل هي

اقل

١٣٦

اقل من ذالك وقال آخرون بل هي اعظم من الجزيرة العظيمة

وقال اصحاب الهندسة هي اضعاف الارض مائة وسبعون

مرة ففي اختلاف هذه الاقاويل منهم في الشمس دليل على انهم

لم يقفوا على الحقيقة من امرها واذا كانت هذه الشمس التي

يقع عليها البصر ويدركها الحس قد عجزت العقول عن الوقوف

على حقيقتها فكيف ما لطف عن الحس واستتر عن الوهم

فان قالوا ولم استتر قيل لهم لم يستتر بحيلة يخلص اليها

كمن يحتجب عن الناس بالابواب والستور وانما معنى

قولنا استتر انه لطف عن مدى ما تبلغه الاوهام كما

لطفت النفس وهي خلق من خلقه وارتفعت عن ادراكها

بالنظر فان قالوا ولم لطف وتعالى عن ذالك علوا كبيرا

كان ذالك خطاء من القول لانه لا يليق بالذي هو خالق

كل شيء الا ان يكون مباينا لكل شيء متعاليا عن كل شيء

سبحانه وتعالى فان قالوا كيف يعقل ان يكون مباينا لكل

شيء متعاليا قيل لهم الحق الذي تطلب معرفته من الاشياء وهو

اربعة اوجه فاولها ان ينظر اموجود هو ام ليس بموجود والثاني

ان يعرف ماهو في ذاته وجوهره والثالث ان يعرف كيف
هو وما صفته والرابع ان يعلم لماذا هو ولاية علة
فليس من هذه الوجوه شيء يمكن المخلوق ان يعرفه من الخالق
حق معرفة غير انه موجود فقط فاذا قلنا وكيف وما هو
فممتنع علم كنهه والاحاطة المعرفة به واما لماذا هو فساقط
في صفة الخالق لانه جل شانه علة كل شيء وليس شيء بعلة
له ثم ليس علم الانسان بانه موجود موجب له ان يعلم
ما هو وكيف هو كما ان علمه بوجود النفس لا يوجب ان
يعلم ما هي وكيف هي وكل الامور الروحانية اللطيفة
فان قالوا فانتم الآن تصفون من قصور العلم عنه
وصفا حتى كانه غير معلوم قيل له هو كذا من جهة
اذا رام العقل معرفة كنهه والاحاطة به وهو من جهة
اخرى اقرب من كل قريب اذا استدل عليه بالدلايل الشافية
فهو من جهة كالواضح لا يخفى على احد وهو من جهة كالغامض
لا يدركه احد وكذا العقل ايضا ظاهر بشواهده ومستور
بذاته فاما اصحاب الطبايع فقالوا ان الطبيعة لا تفعل
شيئا

شيئا لغير معنى ولا تجاوز عما فيه تمام الشيء
في طبيعته وزعموا ان التجربة تشهد بذلك
فقيل لهم فمن اعطى الطبيعة هذه الحكمة
والوقوف على حدود الاشياء بلا مجاوزة
لها وهذا قد تعجز عنه العقول بعد طول
التجارب فان اوجبوا للطبيعة الحكمة
والقدرة على مثل هذه الافعال فقد اقروا
بما انكروه لان هذه هي صفات الخالق وان انكروا
ان يكون هذا للطبيعة فهذا وجه الخلق يهتف
بان الفعل للخالق الحكيم وقد كان من القدما
طايفة انكروا العمد والتدبير في الاشيا
وزعموا ان كونها بالعرض والاتفاق وكان
مما احتجوا به هذه الآيات التي تكون على غير مجرى
العرف والعادة كالانسان يولد ناقصا
او زايدا اصبعا او يكون المولود مشوها
مبدل الخلق فجعلوا هذا دليلا على ان

يكون الأشياء وليس بعمد وتقدير بل بالعرض
كيف ما اتفق ان يكون وقد كان ارسطاطا
ليس ردّ عليهم فقال ان الذي يكون بالعرض
والاتفاق انما هو شيء يأتي في الفرط مرّة
لاعراض تعرض للطبيعة فتزيلها عن سبيلها
وليس بمنزلة امور الطبيعة الجارية على شكل
واحد جريا دائما متتابعا وانت قال
يامفضل ترى اصناف الحيوان يجري اكثر ذلك
على مثال ومنهاج واحد كالانسان يولد وله
يدان ورجلان وخمس اصابع كما عليه الجمهور
من الناس فاما ما يولد على خلاف ذلك
فانه لعلة تكون في الرحم او في المادة التي
ينشاء منها الجنين كما يعرض في الصناعات
حين يتعمد الصانع الصواب في صنعته
فيعوق دون ذلك عائق في الاداة او
في الالة التي يعمل فيها الشيء فقد يحدث

مثل ذلك

مثل ذلك في اولاد الحيوان للاسباب التي
وصفنا فياتي الولد زائداً او ناقصاً او مشوها
ويسلم اكثرها فياتي سويّا لا علة فيه فكما ان
الذي يحدث في بعض الاعمال الاعراض لعلة
فيه لا توجب عليها جميعا الاهمال وعدم الصانع
فكذلك ما يحدث على بعض الافعال الطبيعية
لعائق يدخل عليها لا يوجب ان يكون جميعها
بالعرض والاتفاق فقول من قال في الاشياء
ان كونها بالعرض والاتفاق من قبل ان شيئا
منها ياتي على خلاف الطبيعة بعرض يعرض له
خطاء وخطل فان قالوا ولم صار مثل هذا
يحدث في الاشياء قيل لهم ليعلم انه ليس كون
الاشياء باضطرار من الطبيعة ولا يمكن
ان يكون سواه كما قال قائلون بل هو تقدير
وعمد من خالق حكيم اذ جعل الطبيعة تجري
اكثر ذلك على مجرى ومنهاج معروف ويزول

احيانا عن ذلك لاعراض تعرض لها فيستدل بذلك
بذلك على انها مصرفة ومدبرة مقدرة الى ابداء
الخلق وقدرته في بلوغ غايتها واتمام عملها
تبارك الله احسن الخالقين **يا مفضل** خذ
ما اتيتك واحفظ ما منحتك وكن لربك
من الشاكرين ولالائه من الحامدين ولاوليائه
من المطيعين فقد شرحت لك من الادلة
على الخلق والشواهد على صواب التدبير والعمد
قليلا من كثير وجزءا من كل فتدبره وفكر فيه
واعتبر به فقلت بمعونتك يا مولاي اقوى
على ذلك وابلغه ان شاء الله فوضع يده على
صدري فقال احفظ بمشية الله ولا تنس ان
شاء الله فخررت مغشيا فلما افقت قال كيف
نفسك **قال المفضل** فقلت قد استغنيت بمعونة
مولاي وتاييده من الكتاب الذي كتبته وما
ذلك بين يدي كانما اقراه من كفي ولمولاي الحمد

والشكر

١٣٩

والشكر كما هو اهله ومستحقه فقال فرغ قلبك
واجمع اليك ذهنك وعقلك وطمانينتك
فسالقي اليك من علم ملكوت السموات والارض
وما خلق الله بينهما وفيهما من عجايب خلقه
واصناف الملائكة وصفوفهم ومقاماتهم ومراتبهم الى
سدرة المنتهى وساير الخلق من الجن والانس الى
الارض السابعة السفلى وما تحت الثرى حتى
يكون ما وعيته جزءا من اجزاء انصرف اذا
شئت مصاحبا مكلوا فانت منا بالمكان
در حفظ حمایت خدا
الرفيع وموضعك من قلوب المؤمنين موضع
الماء من الصدى ولا تسالن عما وعدتك حتى احدث
لك منه ذكرا قال المفضل فانصرفت من عند
مولاي بما لم ينصرف احد بمثله تم الكتاب بتوفيق
الله وعنايته في ليلة الجمعة
في عاشر شهر ذيقعده الحرام
١٢٦١

